# في افريقيا

# المدارس الإشتراكية

عبد الخالق محجوب



# المدارس الإشتراكية فى افريقيا

عبد الخالق محجوب



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

الكـــتـــاب : المدارس الاشتراكية فى أفريقيا
المؤلـــــف : عبد الخالق محجوب
رقم الإيداع : ٣٢٥٢ / ٢٠٠٦ – ٣٨٤ – ٢٠٠٤م السودان
تاريخ النشر : ٢٠٠٦ الطبعة الثانية
ردمــك : ٥٧ – ٥٤ – ٩٩٩



النــاشــر : دار عــزة للـنشر والتـوزيع
الإدارة : شارع الجامعة – الخرطوم – جنوب وزارة الصحة .
ت : ٨٣٧٨٧٢٠٠ فاكس : ٨٣٧٩٧٠٨٤ (١ – ٢٤٩ +)
التـوزيـع : دارعزة للنشر والتوزيع ت : ٨٣٧٨٧٢٠١
السودان – الخرطوم . ص.ب : ١٢٩٠٩
بريد إلكترونى azzaph @ yahoo.com

## المقومات الذاتيـة للـحضـارة الافريقيـة

أصبحت الاشتراكية الافريقية تعبيراً شائعاً في حقل الدراسات الاجتماعية وامراً مسلماً به بين الكثير من العاملين في ذلك الحقل. لا نود الآن معالجة هذا الموضوع اذا اننا سنتطرق اليه بعد تسلسل هذا البحث. وعلي اي فمن المنطق ونحن نتكلم عن الاشتراكية الافريقية ان نتعرف اولاً وقبل كل شئ الي هذه الافريقية: اصولها التاريخية، وكيف لامست العصر الحديث وعانقته في اعلي مستويات قضاياه الاجتماعية ونعني قضية الثورة الاجتماعية. اننا لا نقبل تلك الفكرة الغارقة في الخطأ والتي تقول بأن افريقيا ليس لها تاريخ، وأن الانسان الافريقي يواجه مشاكل العالم المعاصر وهو لايستند الي جدار من التاريخ. كما اننا لا نقبل تلك الفكرة الناتجة عن هذا الافتراض الخاطئ التي تقول بأن الافريقي ليس له سند من المدنية يجعله في مستوي يدرك فيه قضية التقدم والثورة الاجتماعية، وهو اذ يواجه تلك القضية فانما يفعل ذلك وهو ابن للأثر الاوربى وحده، ويقترب منها ويحلها علي ذلك الاساس.

### نظرة في التطور التاريخي لأفريقيا

ان لافريقيا تاريخها القديم وهو ليس تاريخاً طويلاً يجعلها كالوحش الذي لم يعد له مثيل في عالم الاحياء او كنوادر المتاحف فتاريخ افريقيا جزء من تاريخ العالم ، كما مر بالمراحل التي عبرها العالم القديم، وتأثر بالكثير من العوامل التي وصلت من قبل حبل المعرفة البشرية. صحيح ان لتاريخ افريقيا مميزات مثلها في ذلك مثل الحضارات المختلفة، فجفاف الصحراء في العصر الحجري الحديث حجب عن افريقيا جنوب الصحراء مؤثرات حضارة البحر الابيض

المتوسط والشرق الاوسط، وهذا ميز تاريخ أفريقيا أو ذلك الجزء الجنوبي من افريقيا بمميزاتها الخاصة. ولكن افريقيا ظلت علي الرغم من ذلك الحاجب الجغرافي تستقبل مؤثرات حضارية كثيرة أثّرت في تاريخها كما اثرت في تاريخ العالم الآخر. فاذا كان نكروما يقول اليوم: اصبحت الصحراء في عالمنا المعاصر قنطرة تجمع بيننا – فيمكننا ايضاً في نظرتنا عبر التاريخ ان نكتشف ان الصحراء – علي الرغم من من ما اقامت من عوائق جدية احياناً أمام استقبال الحضارات – فأنها لم تكن ذلك الحائط الصيني الذي قفل أفريقيا او مزق أوصالها. ربما جري الحديث هنا عن افريقيا شمال الصحراء وماذلك الا لتيسير التفكير ولأن مؤثرات المدنية لا المدنية في ذاتها تختلف في عمقها هنا وهناك . وقبولنا لهذا التقسيم لا يعني اننا نقبل الطريقة الغربية الكلاسيكية في تقسيم افريقيا علي أسس عنصرية، علي أساس العرب والزنوج. وكما سنري فيما بعد فأن الاثر العربي او الاسلامي أثّر في افريقيا وفي تكوينها في الشمال وفي الجنوب وتأثر بها، جاء الي قارة ذات أصول تاريخية فأستقبلته مستندة الي تلك الاصول فأثر فيها وتأثّر بها.

كانت افريقيا قبل جفاف الانهر في منطقة الصحراء تعيش وحدة لا انقسام فيها ويستوي تطورها في مستوي العصر الحجري القديم. لقد دخلت مناطق حوض النيل الاسفل والصحاري هذا العصر سويا كما تدل علي ذلك الحفريات. عرفت هذه البقعة الزراعة والاستقرار والتجمع في القري علي ضفاف الانهر. فقد كانت الدوافع الاجتماعية في هذه المنطقة التي حرمت من الغابات والوفرة الطبيعية قوية للزراعة. فوقعت هذه الثورة الزراعية قبل خمسة الف عام من ميلاد المسيح تقريباً. وبهذا صارت هذه البقعة مركزاً للاشعاع الحضاري في



افريقيا. وبجفاف الانهر في القسم الصحراوي نزح سكان هذه البقعة جنوبا اذ ان الجنوب كان منفذهم القريب فوجدوا سكان الجنوب يعيشون مرحلة العصر الحجري القديمة فنقلوا اليهم الثورة الزراعية. لقد كانت تلك الهجرة بمثابة الحبل الذي ربط اوصال افريقيا وخلق الاساس للحضارة الافريقية الموحدة. ولكن تلك الثورة وهي تنتقل وسط ظروف جغرافية جديدة تكيفت بتلك الظروف واختلفت اثارها علي ذلك الاساس. ففي غرب افريقيا مثلاً ولظروفها الطبيعية من حيث الارض ووفرة المياه قام نظام الزراعة وانتجت الحبوب، ولكن الثورة في شرق افريقيا الوسطي جاءت في شكل الصيد كصيد الاسماك وتربية الماشية. وهكذا وعلي الرغم من وحدة الثورة المنتقلة من منطقة الصحراء الي الجنوب الا انه في اجزاء من افريقيا اصبحت الارض مدارالحياة عند العاملين بالزراعة واصبحت الماشية والصيد مدارها في اجزاء أخري. ربما بدت هذه النتيجة عامة أكثر من الواقع، ولكن لاننسي ان الماشية والصيد لعبت دورها في القسم الأول كما ان الارض لعبت دوراً ايضاً في القسم الثاني.

لقد تشتتت القبائل المهاجرة وواجهت ظروفا طبيعية قاسية لم تعهدها من قبل في المناطق التي عاشت فيها حيث الزراعة والاستقرار. امام الطبيعة القاسية قل عدد السكان، وهذا النقص في السكان اضعف من عوامل التطور والتقدم اذ انه قلل من دافع العمل ونعني عمل الانسان في الطبيعة من اجل العيش. فدافع العمل يتأثر كثيراً بحجم السكان. كذلك لم تتطور الآلة فترة من الزمن في الظروف الجديدة وكان تطورها مهماً لمواجهة تلك الظروف الجديدة ولتسخيرها لمصلحة المهاجرين. لهذا ظل الناس يتجمعون ويعيشون في اطار نظام العشيرة لإتقاء العوامل الطبيعية القاسية. هذا يختلف عن التجمع علي

ضفاف النيل مثلاً ذلك التجمع الذي تدفعة الحاجة الاقتصادية والاستقرار بهدف الزراعة وتوفير الري. يمكننا ان نصف التجمع الأول بأنه يستهدف مواصلة الحياة والبقاء بينما يستهدف التجمع الثاني التقدم وتنمية الحياة. كان الجديد القائم علي نظام العشيرة يدعو الي الانتشار السطحي دون الوحدة والتركيز، خلافاً ايضاً لما كان يجري في مصر مثلاً حيث كان التجمع كثيفاً ويهيئ الفرص للوحدة. لقد كان لوجود الغابات في مناطق الهجرة الجديدة وامكانية الحصول علي الحد الادني من العيش دون عمل مستمر وعميق في الطبيعة كالعمل في الري من أجل الزراعة اثره في تأخير التجمع المدني الكثيف وهو دافع من دوافع الحضارة والتقدم.

يمكننا القول اذاً انه علي الرغم من ان أفريقيا انتظمت في العصر الحجري الحديث بعد جفاف الصحراء وهجرة القبائل التي تسكنها نحو الجنوب، فعرفت العيش في جماعات وولجت باب الثورة الزراعية الا ان هذه الثورة اختلفت من جزء لاخر: فهي اعمق واكثر تقدما علي ضفاف النيل منها في مناطق الغابات والرعي، وهي ترتبط بالزراعة والارض في جزء وبتربية الماشية والصيد في جزء اخر. وهذا بالطبع اثر في التكوين الثقافي للانسان الافريقي حسب اختلاف شكل الثورة وعمقها وتطورها.

### أثر المهاجرين الأوائل:

وعلي الرغم من جفاف الصحراء في تلك الفترة وتأثيرها علي العلاقة بين شمال افريقيا وجنوبها الا ان آثار الحضارة ظلت تدفع بموجاتها نحو أفريقيا. لقد وصل قبل الف عام المهاجرون من جنوبي شرقي أسيا الي شرق افريقيا



وادخلوا فيها منتجات زراعية جديدة وخاصة الحبوب والموز. فقد رفعت هذه المنتجات نسبياً من مستوي معيشة الناس وجعلتهم اكثر مقدرة علي مواجهة صعوبات الطبيعة، كما انها دفعتهم للاستقرار ورفعت من مستوي العمل فدورة الموز اطول من المنتجات الاخري وتدعو الي الاستقرار اكثر من التنقل، وحتي في حالة التنقل فإن القبائل التي تزرع هذه السلعة في حاجة الي العودة مرة اخري الي مراكز الزراعة. وهذا امر يدعو الي الاستقرار والي الارتباط بالارض.كما ان انتشار الموز في أفريقيا رفع أيضاً من قيمة العمل، وهذا شرط جوهري للتقدم والتطور.

ومن مصر شمال افريقيا ينتقل ايضاً اكتشاف الحديد لصنع الآلة. فقد كان لذلك الاكتشاف اثره البليغ علي الافريقيين جنوب الصحراء أذ أنه زاد من قدرتهم علي اتقاء الحيوان المفترس ومن قدرتهم علي الزرعة وبهذا اسهم كثيراً في الاستقرار. بإتقاء الحيوانات المفترسة فجر عصر المعادن في افريقيا مرحلة تاريخية جديدة امتازت بنمو كبير في عدد السكان وباتساع اكبر في التجمع من دائرة العشيرة الضيقة وبتحديد دائرة الانتشار السطحي علي وجه القارة والميل الي التجمع الكثيف. ولكن الظروف الطبيعية لعبت دورها ايضاً في هذا العصر فجعلت الثورة الزراعية تختلف من بقعة الي أخري ، في مصر وكوش مثلاً إختلفت اثار عصر المعادن عن المناطق الاخري, فقد كان هنا عاملاً مساعداً في تطوير الزراعة واسهم في توحيد السكان لانه وجد الاساس المادي لذلك التوحيد: فالاراضي الزراعية قليلة والمياه محدودة. ولهذا كانت المعادن بمثابة ثورة في التكنيك اسهمت في تطور تقسيم العمل وفي دعم الأساس للدولة الواحدة التي تعدت حدود العشيرة والقبيلة أما في افريقيا جنوب الصحراء

حيث الارض متوفرة والمياه كذلك وحيث لم يلعب الري دوره في تمهيد الارض للدولة الواحدة فإن عصر المعادن لم تكن له الآثار الثورية العميقة التي تركها في المناطق التي اشرنا اليها سلفاً. ولكنه علي أي حال أحيي المجتمع حركة وعملاً واستقراراً. وهذا الاستقرار خلق أنماطاً جديدة من الثقافة واشكالاً من الادارة اوسع دائرة وأشمل من نظام العشيرة.

ومرة اخري ونتيجة للتفاعل مع الحضارات الوافدة ينتظم افريقيا عصر واحد مجيد وتغنى حضارتها من نفس المنابع ويزداد الاتصال بينها وتمتد آثار الحضارة رغم الحاجز الصحراوي من مصر وشمال افريقيا ومملكة كوش واكسوم الي جنوب الصحراء وفي هذا المستوي ونعني عصر المعادن أستقبلت افريقيا المؤثرات الخارجية والعظمي في حياتها استقبلت المسيحية والاسلام والاستعمار في ذلك المستوي من التقدم.

كانت افريقيا تعرف الزراعة والاستقرار نظاماً للعيش. تعرف التجمع في ظل إدارة واحدة وخبرت أول الشعوب تكوين دولة واحدة، عرفت مشكلة الارض والري واصبح الري والزراعة مداراً للحياة الثقافية والدينية في أجزاء منها كما اصبحت الماشية مداراً لتلك الحياة في اجزاء اخري. وفوق هذه الاسس قامت نهضتنا الثقافية وهي تشترك في سماتها مع كل النهضات الثقافية المماثلة لها في القارات الاخري. صحيح ان هنالك مميزات ثقافية افريقية علي الرغم من مشابهة الاساس المادي لتلك الثقافة مع اسس الثقافة في القارات الاخري ولكن هذه المميزات امر طبيعي، أذ أن الانسان الأفريقى وجد في أفريقيا ولم يوجد في قارة أخري، وصارع الطبيعة الافريقية وعمل بينها وتأثر بها. ولهذا فهو افريقي ثقافة علي الرغم من ان تلك الثقافة ذات طابع انساني.



## أثر الدين علي الحضارة الافريقية

فاذا نظرنا في لمحة الي الدين مثلاً في افريقيا وهو من السمات الحضارية الرئيسية فأننا نجد ان لافريقيا جنوب الصحراء معتقداتها الدينية وانها واجهت قضية الخلق والوجود كما واجهتها قارات أخري. لقد آمنت افريقيا بالانتصار علي العدم كما آمنت به حضارة الهند والهلال الخصيب. ولكن يمكننا القول بأن مفاهيم افريقيا لهذه القضية الحيوية كانت واسعة وشاملة. ومعظم الاديان علي ذلك العصر وخاصة بين الامم الزراعية بقيت في حدود مقاومة فكرة العدم فامنت بالحياة بعد الموت بشكل او بآخر ولكن افريقيا وخاصة جنوب الصحراء في ذلك العهد سارت خطوات نحو وحدة الوجود فرأت في الانسان أمتداداً للميت وللحي ولمن لم يوجد بعده.

## أثـر السـحر

ولايسع المرء الا ان يشير الي اثر قسوة الطبيعة الافريقية وخاصة في جنوب الصحراء علي هذا المفهوم. فالانسان الافريقي واجه في سبيل بقائه مصاعب اكثر من التي واجهتها المجتمعات الزراعية علي ضفاف الانهار، فأمام الحيوانات المفترسة والصواعق وثورة عناصر الطبيعة تزداد الرغبة في البقاء والاستمرار في الوجود. هذا البقاء المادي سر كبير في معظم الاديان الافريقية وهو يتمثل في تقديسها للسلف وفي تكوينها للجمعيات السرية لتحافظ علي تراث القبيلة وبقائها. ولهذا يمكننا القول بأن الافريقيين وصلوا الي حل مقبول لديهم ووفق ظروفهم لوحدة الوجود في الشكل المادي للانسان. وكسائر الحضارات المماثلة ايضاً باشر الافريقيون السحر بشقية، واعني السحر

التعاطفي بالتقليد والتأثير كما باشرته الشعوب الاخري. والافريقيون في هذا يمثلون جزءاً من الحضارة الانسانية. فاذا نظرنا فيما اورد السير جيمس فريزر من امثلة في دراسته الممتعة عن السحر والدين نجد الكثير منها متشابها في أفريقيا والقارات الأخري مما يدل علي منبع انساني واحد.. وتشابه كبير في هذا الفرع من فروع المعرفة الانسانية في كل ارجاء العالم وليس هذا بغريب اذ أن الاصل لنمو هذا الفرع من فروع المعرفة واحد وهو رغبة البشر في السيطرة علي الطبيعة لا مجرد الخضوع لها، وهو البداية للعلم وفجره. يورد السير جيمس مثلاً ألاحتفاظ بالاثر كشكل من اشكال التأثير علي الانسان في الهند وفي اوربا كما أننا نجد هذا الشكل في اجزاء كثيرة من افريقيا ففي السودان يحتفظ بالأثر – وتعني اثر إلقدم لإلحاق الخير اوالشر لصاحبه، وهو مايسمي عند السحرة في السودان بالنارية التي تصيب صاحبها بالحمي. وقد بقي هذا الشكل في أوربا الحديثة حتي يومنا هذا في شكل الهدية التذكارية قصد احاطتها بالخير ليشمل صاحبها كذلك هناك التأثير علي حياة الانسان بترداد كلمات غامضة وبرقصه الشر، نشهد هذا بين كثير من القبائل الافريقية كما نشهدها ايضاً في تراث اوربا كمشاهد مسرحيات شكسبير مثلاً (ماكبث) والتمثل بالطبيعة في الحياة الاجتماعية امر شائع في الثقافة الانسانية كما في ويلز مثلاً علي القرن الثامن عشر يتمثلون بالنجمة القطبية ويستعطفونها لثبات الزواج ودوامه. وهذا امر شائع في تقاليد السودان ومعروف في حفلات الزواج باسم الحضانة . وقد تمثلها جون كيتس في اغنيته الاخيرة التي يجاري بها أغنية شكسبير (شكوي عاشق):

ايها النجم المتوهج          ليتني كنت مثلك ثابتا.



ولكن الطبيعة الافريقية وتنوعها، تلك الطبيعة التي شملت الانهار الوادعة والشلالات والصحاري والغابات وواجه بينها الانسان التحدي بطريقة لم يواجهها في قارة اخري جعلت للسحر الافريقي مميزات فهو اكثر غنى من السحر في القارات الاخري لقد جاءت تعبيراته للسيطرة علي الطبيعة متنوعة وغنية وعميقة، ولو انه قدر للعالم الافريقي وبشكل خاص جنوب الصحراء ان يتأثر تأثيراً عميقاً بحضارات البحر الابيض المتوسط في تلك الفترة وبوادر التفكير الرشيد فيما بعد لكانت مساهمته في العلوم الحديثة غنية وثرة، فالسحر هو السابق للعلم والممهد له.

## القيم الجمالية في الثقافة الافريقية

وفي ثقافتها واجهت افريقيا قضية القيم الجمالية كما واجهتها الامم الاخري في تلك المراحل من مراحل الحضارة الانسانية ونعني في مستوي البقاء الانساني واستمرار نوعه. رأت الجمال في القوة البدنية وفي الخصوبة. هذا مفهوم عميق في الحضارة الافريقية مما يجعلنا نقول بأنه بالرغم من اشتراك الانسانية في هذا المستوي الحضاري وفي هذا الفهم للجمال الا ان له طابعاً افريقياً منفردا بين الامم. فالحياة في افريقيا تعرضت للخطر وتهددها الانقراض علي عهود مختلفة، تهددها الخطر في المراحل الأولي بسبب قسوة الطبيعة وتأخر الآلة التي تساعد علي الاتقاء، وتهددها الخطر فيما بعد نتيجة للاثر المدمر النازح من الخارج ونعني الاثر الاوربي. لهذا اصبح الجمال مرتبطاً بالبقاء وبالقدرة علي مواصلة الحياة البشرية. فالمرأة الجميلة هي ذات البدن القوي الصحيح. من هنا اصبحت عملية مواصلة الجنس وتعليم الجنس نفسه

جزءاً من الفنون الشعبية والسحر كما في قبيلة الككوي. وتدخل ضمن الاخيلة الشعرية بل تكاد تكون العامل المشترك المشاع بين تلك الاخيلة وخاصة في وسط افريقيا.

والفنون الاخري مثل النحت في المناطق الزراعية والرسم علي الصخور في مناطق الرعي كلها ارتبطت بسر البقاء وبالدين وشمل هذا الارتباط دوائر ابعد من ذلك فالصناع علي الخشب وعلي الحجر وعلي الحديد كالحدادين مثلاً كانوا يرتبطون بالدين وينتجون سلعهم وهم مدفوعون بالحماس الديني. لم تكن تلك الفنون مجرد امتاع ذاتي بل كانت ذات فائدة للمجتمع تلهمه مواصلة البقاء في وجه الظروف الطبيعية القاسية فكان الصناع مثلاً يغتسلون ويقومون بطقوس معينة قبل مباشرة عمل فني. وهذه مميزات افريقية تظهر في هذه القارة وتمنحها وضعا منفرداً علي الصعيد الثقافي علي الرغم من ان اساس تلك الثقافة انساني شامل.

## الادارة والدولة في التاريخ الافريقي

عرفت افريقيا نظام الادارة في نطاق العشيرة والقبيلة ولكن اتساع رقعة الارض وتنوع اشكال الثورة الزراعية وفقاً لتلك الظروف الطبيعية لم يثقل افريقيا بنظم اجتماعية كالنظام الاقطاعي التقليدي مثلما حدث في آسيا الا في أجزاء منها في غرب افريقيا. وحتي هذه الأجزاء أدخلت في اطار ذلك النظام فيما بعد . هذه الحقيقة جعلت المجتمع الافريقي اكثر ديمقراطية من تلك المجتمعات التي عانت من النظام الاقطاعي ورفعت من مستوي فكرة العدالة الاجتماعية. كذلك فأن ظهور الثورة الزراعية في شكل تربية الماشية ورعيها كما



حدث في شرق افريقيا كان له اثره في ذلك التخفيف. فنظام ايجار الارض مثلاً ادخلته أوربا في معظم المناطق جنوب الصحراء التي لم يشملها الاثر الاسلامي. لننظر في هذا الميثاق الذي تردده في العادة قبيلة الاشانتي عندما ينصبون شيوخهم وسنجد فيه قيما ديمقراطية حديثة. وهم يرددون:

خبروه انا لانريده طامعا
انا نكره ان يساء الينا
انا لانريده وقد صَمَّت اذناه
انا لانريده يصب اللعنات علينا
انا لانريده متصرفا وفق هواه
انا لانود الامور تسير كما في خوماسي
انا لانريد ان نسمعه يقول:
«ليس لدي وقت، ليس عندي متسع منه»
انا نكره استغلال السلطة
خبروه انا نمقت العنف

وهذا الميثاق يتضمن مبادئ المساواة بين الجماعة والرجوع الي إرادة الشعب كما يتضمن التشوق للسلم والاستقرار. هذه المبادي تنبع ولاشك من الاستقرار الذي طرأ علي النظام الحضري بعد تطور الثورة المعدنية والوفرة التي عادت علي مجموع القبيلة من تطور الآلة واستقرار الزراعة.

كما عرفت افريقيا ايضا علي ذلك العهد وفي اجزاء منها نظام الدولة الموحد الشامل. صحيح ان ذلك لم يكن امراً شاملاً في منطقة جنوب الصحراء الا بعد دخول الاسلام. ولكن هذا لايمنع حقيقة معرفة افريقيا لهذا النظام في تلك

المنطقة قبل دخول الاسلام. فقد جاء في التاريخ ذكر مملكة علي نهر الزنبيزي قامت قبل عشر قرون وهي تضم عدة ممالك يحكمها ملوك علي رأسهم ملك للملوك يجري تعيينه بالانتخاب من الشعب مباشرة.

لهذا يمكننا القول بأن الاستقرار وجد طريقه الي افريقيا نظاماً للحكم قبل موجة المؤثرات العظمي وبأن مفاهيم الدولة بغض النظر عن حدودها كانت موجودة وكذلك مفاهيم الديمقراطية والعدل الاجتماعي وان المفهوم الاخير كان قوياً لتخفف افريقيا من ثقل النظام الاقطاعي في باطن العشيرة والقبيلة يمكننا القول بأن الحضارة الافريقية وهي تقف في عصر المعادن جزء من الحضارة الانسانية ومتأثرة بها، ولكنها افريقية الشكل ومتأثرة بمميزات افريقيا الطبيعية وباثار تلك الطبيعة علي علاقة افريقيا بالحضارات القديمة. وكجزء من الحضارة الانسانية مضمونا والحضارة الافريقية بمؤثراتها استقبلت افريقيا المؤثرات العظمي في حياتها.



# المؤثـرات العظمي في حيـاة أفريقيـا

## الاثر المسيحي الأول

ونصفه بالأول لأن هناك أثراً مسيحياً ثانياً هو دخول المسيحية علي يد المبشرين الاوربيين رسل الاستعمار الغربي. ونقصد بالاثر المسيحي الاول انتشار المسيحية في مصر واثيوبيا وشمال السودان ودخولها لافريقيا كدين جديد لم ينبع من اوساطها. هذا أول تلاقي علي نطاق واسع نسبياً بين الفكر الافريقي والثقافة الافريقية وبين ثقافة وافدة من الخارج. تتميز هذه الموجة المسيحية بأنها واصلت سير الحياة الافريقية ولم تقطعة بل يمكننا القول بأنها تأقلمت الي حدود بعيدة في المناطق التي شملتها. فمصر الفرعونية ابتلعت المسيحية ولم يهتز كيانها الاجتماعي وبقيت العلاقات الاجتماعية علي ما هي عليه تقريباً كما بقيت الكثير من العادات والثقافة الفرعونية. وكذلك الأمر في النوبة واثيوبيا، وفي الاخيرة ظهرت الحركة التي سميت في العصر الحديث بحركة «اثوبة الكنيسة» ولكن ذلك التغلغل المسيحي كان محدوداً في نطاق تأثيره ولايمكن الحديث عن آثاره الافريقية العامة واهميته تبرز في دراسته للمقارنة بينه وبين الاثر المسيحي الشامل. ان هذه الدراسة تؤكد ان الثقافة الافريقية وهي تستقبل المسيحية سلمياً برهنت علي قوتها وحيويتها وانها تستطيع أن تستوعب الحضارات الاخري ولاتذوب فيها. هذا يضحد الحجة الزائفة القائلة بأن افريقيا ليس لها من جدار تستند عليه كما يكشف ايضاً الطبيعة التعجرفية للموجة المسيحية الثانية التي ادت الي تفتيت المجتمع الافريقي.

## الأثر الاسلامي

اذا قارنا دخول الاسلام في أفريقيا مع دخول المسيحية علي العهد الحديث نجد ان الاسلام امتاز بابقائه علي الاستقرار الافريقي في كل المناطق التي شملها وهذا يرجع الي طبيعة الاسلام نفسه والي الطريقة التي تخلل بها افريقيا. ففي افريقيا جنوب الصحراء لم يحمل الاسلام جيش من الغزاة بل دخل المسلمون كتجار من شمال افريقيا فخلقوا العلاقة بين النسيج الافريقي الاجتماعي ودول شمال افريقيا. كذلك لم توجد في الاسلام طبقة أكليريكية* ذات مصلحة في الغزو فتدفع بالدين في محيط الاستغلال والحروب. كذلك كانت للطبيعة المرنة في الاسلام اثرها العميق في الابقاء علي التراث الأفريقي في هذه البقعة إذ أن الاسلام يقوم علي أركان ظاهرة لا مكان لامتحان الضمير فيها. فكان قبول الاسلام من جانب الحكام في غرب افريقيا مثلاً أمراً كافيا لادخال بلدانهم في اطار الجماعة الاسلامية مما حمي تلك البلدان من استنزاف قدراتها الاقتصادية ومن مس كيانها كدول بسوء. فالكثير من امراء مالي ونيجيريا والسنغال قبلوا الاسلام فدخلت بلدانهم سلمياً في اطار الجماعة الاسلامية. ان البلدان الافريقية وخاصة جنوب الصحراء حيث لم يدخل الاثر المسيحي الأول لامست الحضارة الاسلامية برفق وسلام واستفادت من تلك الحضارة وابقت في نفس الوقت علي تراثها التاريخي واصوله الافريقية. لقد جدد الاسلام الحياة في تلك البقاع فاتسع نطاق الدولة من القبيلة الي المظلة الاسلامية الاوسع وارتبط شمال افريقيا بجنوبها واتسع نطاق التجارة بوساطة

* أكليريكية: طبقة من رجال الدين يمثلون الهيكل الاداري للكنيسة المسيحية.



العرب بدرجة لم تتوفر من قبل وادخلت القراءة والكتابة واخرجت المجتمعات من حالة الاستقرار المكتفي والركود الي حالة من الحركة واخرجت القبائل تبشر بدين جديد وتبني دولاً علي قاعدة اجتماعية وجغرافية اوسع مما مضي.. الخ وهكذا اتسع نطاق الامبراطورية السودانية المسلمة وما عادت القبيلة هي الرباط بين المجتمع بل اصبح المسلك والعقيدة هما ذلك الرباط الواسع الشامل.

لقد تأثر التخلل الاسلامي جنوب الصحراء بوجود نظم افريقية قوية في تنظيم شئون الحكم والحياة الاجتماعية والاقتصادية. يدل علي هذه القوة فشل محاولات البدو لغزو دولة غانا في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٦٢ الي ١٠٧٦م يحدث هذا بالرغم من ان موجات البدو كثيراً ما كانت تهدم النظم الزراعية المستقرة. وهذا يدل علي عافية ذلك النظام. وهذه العافية تركت اثرها في الاختلاط بين الحضارة الافريقية جنوب الصحراء وبين الاسلام. فعلي الرغم من وجود العنصر العربي مثلاً بين قبائل الفولاني نجد ان مناطق غرب افريقيا احتفظت بلغاتها في الوقت الذي قبلت فيه الدين الاسلامي وتأثرت بعناصر الحضارة الاسلامية. ربما قال قائل بأن السبب لايرجع الي الاصول الافريقية القوية في تلك البقاع بل يرجع الي حقيقة ان العرب لم يغزوها كما فعلوا مع مصر والمغرب والسودان مثلاً. هذا صحيح من ناحية ولكن النتيجة التاريخية واحدة: وهي ان منابع الحضارة الافريقية بقيت وعانقت الاسلام في تلك البقاع. وهذا وضع فريد استطاعت به تلك المناطق الأفريقية ان تحافظ علي اصولها الافريقية الثقافية، ولايعني هذا بالطبع ان المناطق التي دخلتها العربية فأصبحت لغة لها وتأثرت بالحضارة الاسلامية لم تحتفظ بأصولها الافريقية الثقافية فالسودان مثل حي لذلك.

هذا التلاقي بين الحضارتين الافريقية والاسلامية وتمازجهما مع بقاء الحضارة الافريقية يظهر في دولة مثل مالي. فقد كانت تلك الدول نموذجاً للاستقرار النابع من بساطه النظام القبلي وديمقراطيته فجاء الاسلام ليواصل ذلك الاستقرار ويغنيه بأفكار العدالة الاجتماعية المستخرجة من القرآن والاحاديث النبوية لا التجارب الدخيلة عليهما. فقد وصف ابن بطوطة عام ١٣٥٢م ميلادية دولة مالي بأن سكانها نادراً ما يظلمون ويمقتون الحكم الظالم ويأخذ سلطانهم بالشدة كل معتد وبأن الطمأنينة تسود دولتهم فلا يخشي المسافر او المقيم علي ماله ونفسه وعرضه. وقد منح الاسلام ذلك الاستقرار الافريقي الذي اتصف بالركود عموماً القدرة علي الحركة والحيوية وابقي علي التراث الافريقي محمياً من تحت المظلة الاسلامية. وبهذه الطريقة دفع الانسان الافريقي للاسلام واستلهم منه قوة جديدة للحياة والتطور، يشير الي هذه الحقيقة (ادور بلا يدن) من رواد الحركة الافريقية بقوله: «ان المسلم الزنجي في اسلامه خير من المسيحي الزنجي في مسيحيته لان الاول ليس مقلداً بل مؤمن، والمؤمن عندما ينعتق من الانقياد يصبح شخصاً منتجاً اما المقلد فلا يكتب له الخروج من دائرة التقليد. ان المؤمن يتقدم بدوافعه الباطنية اما المقلد فيتطور بالضغط الخارجي.»

## الأثر المسيحي الثاني وارتباطه بالاستعمار

لايمكننا فصل هذا الاثر من الاطار الاستعماري بمرحلتيه، الاستعمار والامبريالية، فقد دخلت المسيحية علي هذا العصر الي افريقيا كجزء من الاستعمار ممهدة لدخوله بادي الامر ومدعمة لبقائه في النهاية فالتقسيم



الاستعماري للعالم الجديد كان بفتوي من البابا رأس المسيحية في القرن الخامس عشر اذ قسم العالم الي قسمين النصف الشرقي وكان يعني به افريقيا والنصف الغربي وكان يعني به امريكا، ومنح افريقيا للبرتغاليين وامريكا للاسبان فمن الانسب اذا ونحن في صدد الحديث عن الاثر المسيحي الثاني ان نتكلم عن الاستعمار واثره علي افريقيا: كيف استقبلته وكيف تفاعلت معه.

لقد واجهت افريقيا الاستعمار وهي تستند الي تراثها الافريقي وتتأثر في اقسام منها بالحضارة الاسلامية وفي اقسام اخري بالحضارة المسيحية وفيما تبقي تستند الي حضارتها الافريقية الخالصة. انها لم تواجهه دون سند، فقد كتب تاجر بريطاني في النصف الأول من القرن الخامس عشر يقول: «ان سكان افريقيا ماهرون في قدرتهم علي البيع والشراء ويجيدون حساب الذهب الذي يعرضونه للبيع. لهم مقاييسهم وموازينهم وهم حريصون جداً في معاملاتهم التجارية.» ولكن الاثر الاستعماري* علي عكس الاثر الاسلامي أو كافة الحضارات التي أثرت علي تطور افريقيا من قبل لم يواصل تنمية هذا البناء الاجتماعي بل هدمه أو حاول هدمه في نواحيه المختلفة في التركيب الاجتماعي في الثقافة وفي الاقتصاد وفي كل اوجه الحياة الاجتماعية. وعلي رأس النشاط الغربي المخرب تقف تجارة الرقيق، تلك التجارة التي هدمت الحياة الافريقية وخربتها في كل بقعة اصيبت بها. يكفي دليلاً علي الأثر التخريبي ذلك التناقص المزعج في عدد السكان في افريقيا مما اوقف تقدمها وحط من شأن العمل واضعف الدافع للتطور في باطن المجتمع. فسكان الكنغو مثلاً في فترة اربعين

* أنثروبولوجية: نظرية عنصرية تحدد تطور الانسان علي أساس اختلافات أساسها التكوين العنصري والجسماني للانسان.

عاماً من العهد الاستعماري هبطوا الي النصف حسب التقارير الرسمية عام ١٩١٩م لقد كان لتجارة الرقيق آثار اقتصادية واجتماعية وثقافية بالغة الخطورة في افريقيا: فقد ادت الي استنزاف الطاقة الانسانية في افريقيا وخاصة في غربها وفي شرقها وقد اخَّر ذلك كثيراً من التطور الاقتصادي والاجتماعي. ادت تجارة الرقيق الي تحطيم العائلة الافريقية وتبع ذلك انهيار في العشيرة، وتفتيت القبيلة وكان لهذا الانهيار أثر بالغ فتكوين القبيلة والعشيرة لم يكن حاجة اقتصادية وحسب بل كان أيضاً حاجه اجتماعية وثقافية. بجانب هذا فهناك الهزة النفسية العميقة والجرح الغائر والالم الذي احدثته تجارة الرقيق في نفوس الافريقيين، وهذه المعالم تركت أثرها في التكوين السيكولوجي للانسان الافريقي وفي مسلكة من كثير من القضايا الثقافية والاجتماعية. لقد ووجهت افريقيا لتبرير هذا الخراب والعمل المتوحش بنظرية انثر وبولوجيه * ظاهرة حينا ومختفية حينا آخر تحقر من شأن الافريقي في سلم التطور البشري وتنفي وحدته في اطار الحياة الانسانية عبر التاريخ وان له حضارة خاصة به اسهمت ايضاً في مجري الحياة الانسانية العميق. فعندما توضع مشكلة افريقيا بالطريقة المنحرفة التي ابتدعها متطرفوا الغرب: «علينا الا نعيش في الاوهام فالرجل الاسود لايكره الابيض الا بسبب بياضه، وهذا أمر لايستطيع الاسود الوصول اليه» – فإن اتصال افريقيا بمؤثرات العالم الغربي حضارة وثقافة تصبح مواجهة وصراعاً عنيفاً لا مواصلة لمعرفة الانسانية قديماً وتدعيمها بالجديد.

بالرغم من اختلاف الاساليب الاستعمارية في استغلال افريقيا الا انه وبشكل عام نتيجة لذلك الاستغلال خلقت مراكز جديدة للتجمعات الانسانية في

* انثر بولوجي: نظرية عنصرية تحدد تطور الانسان علي أساس أختلافات أساسها التكوين العنصري والجسماني للأنسان.



المدن، وتوسعت المدن حيث كانت موجودة كما حدث في مواني شرق افريقيا مثلاً. لقد جذبت المدينة كمؤسسة سيلاً مستمراً من السكان الافريقيين، والمدينة الحديثة بهذا الشكل وليدة الأثر الاستعماري وخاصة في جنوب الصحراء. لقد اهتز المجتمع القديم وخلقت ظروف جديدة تفتت من الكيان القبلي المكتفي. وصوب المدن التي بشر لها الاستعمار كمنارات للتقدم ولتحويل الافريقي من شخص متوحش الي انسان متحضر تدفق الافريقيون ووقفت المدينة الغربية في مواجهة صريحة أمام المجتمع الافريقي. وكان نتيجة هذه المواجهة الاستغلال البشع للانسان الافريقي الذي تحمل نتائجة المدمرة علي تكوينة النفسي وقيمه الانسانية فقد كتب في عام ١٩٤٧ أحد مفتشي المخابرات البرتغالية ما يلي عن حالة العمال الافريقيين في تلك المستعمرات: «ان حالتهم اسوأ بكثير من وضع الارقاء احياناً. فالزنجي في ظل تجارة الرقيق يشتري كالحيوان ويؤثر صاحبه ان يحافظ عليه قوياً كالحصان أو الثور ولكن الافريقي في حالتنا هذه لايشتري بل يؤجر من الدولة علي الرغم من انه يسمي انسان ولايهتم به مخدمه الا نادرا طالما كان مستمراً في اداء عمله. اما اذا مرض أومات فأن مخدمه يستطيع ان يستأجر أخر في يسر وبساطة.»

واجه الافريقي أيضاً في المدينة تفريقاً عنصرياً واضحاً حتي في تخطيط المدينة نفسها فهناك الحي الاوربي ومنطقة سكن الاهالي. والاجور تعاني الانخفاض ويتسع نطاق الحاجة في المدينة فيعاني الافريقي من الفاقة. ويعيش في ظروف قاسية. بهذا فقد الافريقي النازح الحد الادني الذي كان يتمتع به في اطار القبيلة من سد للحاجة المعيشية ومن الامن والاستقرار فعاني من الانهيار الصحي، وهذا أيضاً أثر علي تكوينه النفسي. والاحصاء يقول ان ٧٥٪ من

العمال الافريقيين الذين يصابون بالسل من العمل في مناجم جنوب افريقيا يموتون في مدة لا تتجاوز العامين. ويعاني العمال الافريقيون في المدن من الامراض التناسلية وخاصة مرض الزهري بعد انفراط عقد العائلة وبقاء عائلاتهم في القري وبهذا ينتشر البغاء أيضاً، كما تنتشر جرائم الاحداث – ويعاني الافريقيون من جميع الشرور التي تنتج من فقدان العائلة ومن اقتلاع الجزور الاجتماعية. فالسكر سمة من سمات الحياة الافريقية في المدن بما فيه من مضيعة للدخل والصحة ومن تحلل خلقي. ان الخمور تحتل ٨٪ من واردات ساحل العاج عام ١٩٥٣م ومايقرب من ١٠٪ من واردات داهومي. وهكذا نري ان الأثر الاوربي في هذا الحيز ادي الي شرور اجتماعية كثيرة والي وضع الانسان الافريقي في مواجهة مع الحضارة الاوربية.

كما ان انتقال السكان المفاجئ للمدن وعدم تنظيم هذه الهجرة بشكل يخلق التوازن بين مجتمع القبيلة والمدينة الحديثة بل بطريقة تحطم المجتمع القبلي ادي الي اضعاف القوي العاملة في القري والي هبوط مريع في انتاج المواد الغذائية فالنظام القبلي كان يحطم بقوة وبطرق مختلفة بطريقة السخرة كما في مستعمرات افريقيا الجنوبية أو بطريقة ضرائب الدقنية علي الطريقة البريطانية. وهكذا ولاول مرة تواجه المناطق الافريقية شبح المجاعة بل يعيش بعضها في مجاعة مستوطنة. وهذه القضايا التي لم تعهدها افريقيا من قبل ادت الي اهتزاز الاستقرار الاجتماعي والثقافي والاقتصادي. يمكننا ان نقول ان الاستعمار خلافاً للمؤثرات التاريخية العظمي في حياة افريقيا حطم استقرارها وهز المجتمع باثره بهدمه للاقتصاد الزراعي المغلق في وقت لم يضع فيه بديلاً شاملاً لذلك النظام وفي وقت كان فيه الاستغلال الشنيع



طابع مجتمع المدينة الحديث. وقد كان سبيله الي ذلك ثلاثة طرق هي الرقابة علي الأرض، والعمل المسخر، والضرائب النقدية العالية. وفي كل تلك الاحوال كان يستهدف تجريد الافريقي من وسائل العيش التقليدية ليخلق لديه الحاجة العمل في مؤسساته الاستغلالية وفي قطاعاته الجديدة من الاقتصاد.

وقد كان طابع هذا الهجوم علي الحياة الافريقية المستقرة السرعة في جني اقصي حد من الارباح وفي اقل وقت ممكن. وهذا هو الخراب بعينه.

وفي هذا الجو قدمت المسيحية الوافدة مع الاستعمار ثقافتها للرجل الافريقي ان الامانة التاريخية تفرض علينا القول بأن بعض المبشرين حاولوا تخفيف الالام الافريقية الناتجة من مصاعب الحياة الجديدة ولكن ذلك لم يكن الطابع العام للمسيحية بل كان طابعها القهر والفرض. كان طابعها التشوية لتعاليم المسيح بصورة تجعل الافريقي يقبل كل ما يصيبه من خراب، بصورة توحي اليه السكنه وتدخل في روعه انه شخص لا تاريخ له. فقد اشتركت الكنيسة في تجارة الرقيق عملياً في افريقيا وصدرت ما تمتلك منه الي شواطئ امريكا. وكانت الكنيسة في ذلك العمل جزءاً من المؤسسات التي شيدت المجتمع الرأسمالي الحديث في اوروبا وامريكا. ظلت الكنيسة في افريقيا وامريكا اجيالاً تحرم تعليم القراءة والكتابة علي الافريقيين بل ان بعضها وخاصة الكنيسة البروتستانية اصدرت تعاليمها بتلقين الدين المسيحي شفاهة للافريقي، كما بررت الكنيسة كل اضطهاد اجتماعي واقتصادي. فالكاتب الزنجي (ادور بلايدن) يروي في مطلع هذا القرن في مقالته «المسيحية والعنصر الزنجي» ما يأتي علي لسان القس وليم ميت: «لقد خلق الله البعض سادة ليرعوا اطفالهم ومن ملكت يداهم وخلق الله آخرين خدما وعبيداً ليساعدوا سادتهم ويخدموهم،

كما خلق ايضاً نفر من القساوسة والمعلمين لينشروا العلم بين الناس وليرشدوهم سواء السبيل.» ويقول وليم ميت موجهاً حديثه للعبيد: «ان الله سبحانه وتعالي اراد لكم ان تكونوا عبيداً ولم يمنحكم في هذه الحياة الدنيا غير الكد والفقر، فعليكم ان تمتثلوا لإرادته. ان اجسادكم ليست ملكاً لكم ولكنها ملكاً لأسيادكم.» بالاضافة الي هذا التشوية المزري لتعاليم المسيح والي تبرير العنف والخراب من جانب الكنيسه فانها ايضاً تجاهلت الاصول الحضارية للمجتمع الافريقي ولم تبقي عليه ولم تواصله، بل حاولت أن تقطع حبل المعرفة. فالرجل الابيض في نظر الأثر المسيحي الثاني هو المتحضر وحده وبه تبدأ الحضارة، والعادات الافريقية كلها شر ولا خير يرجي من ورائها. وقد ظهر هذا الاصطدام بين الحضارتين في اشكال عديدة وفي حيز الكنيسة نفسها نذكر من ذلك حركة (أثوبة الكنيسة) في شرق افريقا ووسطها وجنوبها. استهدفت تلك الحركة قيام كنائس زنجية منفصلة لتناسب الظروف المحلية، وتحت علمها قامت ثورة في نياسالاند ضد الحكم الأجنبي عام ١٩١٥.



# افريقيا والتحدي الاستعماري

## كيف واجهت افريقيا هذا التحدي؟

ان الاجابة علي هذا السؤال هامة لان الرجل الافريقي الحديث دخل ايامنا المعاصرة وتأثر بأفكارها وحاول احياء افريقيا علي أساس تلك الأفكار وهو يتأثر بالشكل المعين الذي واجه به ذلك التحدي. من الصعب التعميم في الاجابة لان التحدي الغربي اختلفت أشكاله فالاستعمار البريطاني له طرقه وللفرنسيين طرق أخري وكذلك للبرتغاليين والأسبان.. الخ. ولكن نستطيع القول وبشكل عام ان افريقيا وقفت مواجهة للتحدي وان حضارتين واجهتا بعضهما، وان الأثر الاستعماري ظل مرفوضاً سياسة وثقافة علي الرغم من التفاوت في درجات ذلك الرفض.

لنفصل مجمل القول وخير طريقة ان ننظر في المدارس الفكرية والسياسية التي ولدت في مواجهة التحدي الاستعماري وتحت تأثير الوجود الاستعماري السياسي والاقتصادي والثقافي في افريقيا.

### الحركة الافريقية

نشأت هذه المدرسة بين الزنوج في نصف الكرة الغربي، في الولايات المتحدة الأمريكية وجزر الهند الغربية من المتحدثين باللغة الانجليزية. لقد مرت هذه المؤسسة قبل معالجتها لقضايا الثورة الاجتماعية بتطورات عديدة، اذ عقدت أول مؤتمر لها عام ١٩٠٠م بقيادة كل من ادور بلايدن الجمايكي وديبوا من امريكا وقد لخص الاخير اهدافها في ذلك المؤتمر بقولة: «ان مشكلة القرن العشرين هي مشكلة الحد اللوني – هي علاقة الشعوب السمراء بالشعوب البيضاء في

اسيا وافريقيا وامريكا وجزر الهند الغربية». وكان نشوؤها في امريكا دلاله علي قمة الازمة والمواجهة: ازمة الرجل الافريقي المنشأ بين اعلي مستوي لحضارة الرجل الابيض. كان تلك المدرسة تعبيراً عن أزمة الكيان الافريقي وتمرده علي الذوبان في حضارة أخري بطريقة مذله: كانت تعبر وقتها عن صرخة احتجاج. وفي هذا دلالة واضحة علي ان تفاعل افريقيا مع الأثر الغربي كان الرفض. يدل علي ذلك الشعور الدافق لممثلي تلك المدرسة للرجوع الي افريقيا. ما كان ذلك الرجوع منحصراً في الوجود العضوي بل كان يعبر عن رغبة الافريقي في التثبت من جذوره الحضارية وفي ان يواجه مشاكل الحضارة الحديثة من مسلك وخلق وابداع وهو مرتبط بتلك الجذور. واذا كان التعبير عن ذلك الشعور قد جاء من خارج تلك القارة ومن الزنوج في نصف الكرة الغربى فما ذلك الا لما لقيه اولئك من فرص التعليم الحديث وما يمنحه للانسان من قدرة علي التعبير. فقد كانوا طلائع افريقيا في التمرد علي الخراب الثقافي والاجتماعي. يقول الشاعر المارتنيكي ايمي سيزار: «ان افريقيا السوداء هي أم حضارتنا الهندية الغربية وهي وحدها لقادرة علي تجديد نشاطنا واحياء الأمل في نفوسنا.» وهذه صرخة الغريب ورغبته في الرجوع الي جذوره واصله، وهي رفض للضياع بين حضارة غريبة عليه.

وقد استحالت هذه الحركة في خطواتها السياسية وهي تتأثر بأحداث العالم عن طريق روادها المتصلين بالعالم الخارجي وتتأثر ايضاً بالتطورات التي تجري داخل القارة الي حركة واسعة النطاق. ففي المؤتمر الثاني الذي عقد بباريس عام ١٩١٩م طالب المجتمعون متأثرين بالحرب الأولي وبموجة الهزات الثورية التي اجتاحت العالم بوضع قانون دولي لحماية سكان افريقيا. وخصوا افريقيا



بالحديث وانتقلوا من دائرة المطالبة بالحقوق المدنية التي كانت تخص جزءاً من العالم الاسود الي فكرة حماية أهل افريقيا من التسلط الخارجي ومن الخراب والضياع. وهذا بالتأكيد خطوة متقدمة علي المستوي الذي وصل اليه المؤتمر الأول. كذلك كانت السنوات الواقعة بين عامي ١٩١٩م - ١٩٤٥م حاسمة في تطور تلك الحركة. فبالرغم من الركود الذي اصاب افريقيا وخاصة في المستعمرات البريطانية خلال الثلاثينيات من هذا القرن الا ان عناصر التقدم كانت تنمو وتتجمع. فالتعليم الكنسي علي تشويهه والحاجة الي العاملين في اجهزة الدولة لتسهيل الادارة الاستعمارية علي شحها، إلا ان هذه عوامل اخرجت من بطونها القوي الاجتماعية الافريقية الحديثة العاملة بالاجر ومن المثقفين. ومهما كان التشويه والتقطيع في اوصال الثقافة الانسانية فأن ممثلي تلك القوي بحكم معرفتهم للقراءة والكتابة توصلوا الي القيم الليبرالية الاوربية القائمة علي حرية الفكر والرأي والمساواة.. الخ. كانت كل تلك عوامل تتفاعل في احشاء الافريقي وتخلق تمرداً مكتوماً علي أثار الاستعمار الغربي.

لقد خرج هذا الانسان الافريقي الحديث الي الوجود وهو يحس بكل الخراب الاستعماري وبالضياع الذي عبر عنه كاتب افريقي بقوله: «ان المقيم الاوربي يعتبر المتعلم الافريقي خطراً داهماً فيضطهده ويحجر علي حريته ويشرده ويقتله. انه يخشي المتعلم الافريقي ويقاومه ويتحين الفرص لاهانته وليحرمه كل الفرص التي يفتحها امامه التعليم وتصورها له مطامحه الجديدة.

### الحركة الافريقية بعد الحرب العالمية الثانية:

وجاءت الحرب العالمية الثانية فاشترك في حرب الفاشية أكثر من مليون

افريقي ورجع فيهم من رجع الي بلاده وهو يحس بثقة في نفسه وبقدرته علي اثبات وجوده وقد كان لطبيعة الحرب نفسها بوصفها حرباً ضد الفاشية القائمة علي التعصب العنصري اثرها الكبير في الشعور بالعدالة الاجتماعية لدي المحاربين الافريقيين، كما ان الرجل الابيض ما عاد الشخص الذي لا يهزم فقد استطاعت اليابان في الحرب العالمية ان تلحق الهزائم به، فأي منطق اذاً يواجه به من ساهم في هزم العنصرية ليحبس مرة أخري في قفصها البغيض؟

وهكذا لم تعد الحركة الافريقية في قاعها الثقافي معبرة فقط عن تمرد الرجل الافريقي علي الحضارة الأوربية المفروضة عليه ولا عن محاولته مواصلة بقائه التاريخي بل ان التحولات الاجتماعية في افريقيا والثورة الديمقراطية العالمية علي الفاشية أثرت تأثيراً خطيراً علي ذلك القاع الثقافي ومنحته لأول مرة معنيً سياسياً واضحاً لا التباس فيه. كما ان وجود الكثير من القادة السياسيين لهذه الحركة في أوربا خلال الحرب العالمية الثانية مثل نكروما وكنياتا وأزكوي والتصاقهم بحركة المثقفين الديمقراطية في بريطانيا أعطي الحركة الافريقية علي عهدها الجديد طابعاً انسانياً في مضمونها الثقافي ومنحها النضوج في أهدافها السياسية. فقد كان مؤتمر مانشستر عام ١٩٤٥ والذى حضره أولئك القادة ذا أهمية كبري في هذا المضمار اذ قرر «اننا نطالب لافريقيا بالحكم الذاتي والاستقرار بقدر ما هو ممكن في عالم اليوم لجماعات ان تستقل وان تحكم نفسها».

ان هذا القرار يعبر عن تطور الحركة الافريقية من زاوية النضال الوطني وهو أيضاً ذو طابع عالمي مهما اختلفنا في تقييم ذلك الطابع. لقد أصبحت الحركة الافريقية أكثر عافية بنهوض الحركات الشعبية في افريقيا وبتحولها من



تمرد لفئات المثقفين الي ثورة شعبية انتظمت الطبقات الحديثة الافريقية وفي مقدمتها المثقفون والعاملون. كانت تلك الحركة أسرع من غيرها من الحركات في بلدان افريقيا لنيل الاستقلال السياسي، ربما كان لطريقة الاستعمار البريطاني في الاستغلال أثر في ذلك فالاستعمار البريطاني وهو يحتل افريقيا من مركز القوي وبوصفة من أكثر الدول الاستعمارية تقدماً كان يستهدف الاستغلال بطريقة تضمن أقصي حدود الربح بأقل تكاليف. لذلك نجده يطور قطاعات معينة منتجة للمواد الأولية كالكاكاو في غانا والقطن في يوغندا والمعادن في نيجريا. الخ.. ويترك في الغالب ما سوي ذلك من قطاعات دون استغلال. ولهذا ظلت المؤسسات الافريقية الاجتماعية والثقافية باقية عدا التي تقع في مراكز الاستغلال. فالحركة الافريقية وجدت بين المستعمرات البريطانية أسسا افريقية ومؤسسات تستند اليها، وبالتمازج بين هذه المؤسسات الافريقية القديمة والحركة السياسية الحديثة أمكن قيام حركة شعبية واسعة وعميقة الجذور وتحول التمرد علي الحضارة الغربية الي ثورة وطنية – بكل ما تحمل ثورة من قيم للنظام والحكمة والمساواه. وبالرغم من التحقير للشخصية الافريقية من قبل الوجود الاستعماري في هذه المناطق وخاصة في شرقها الا ان الثقة المستمدة من وجود الكيان الافريقي والمؤسسات الافريقية أكسبت الحركة الافريقية العامة ودفعت باتجاهاتها الثقافية الي توحيد الكيان الافريقي والحضارة الافريقية كجزء من التراث العالمي، وكادت المرارة التي لازمت تلك الحركة وهي في مرحلة التمرد الثقافي الأولي أن تنحسر نهائياً وهذا أمر ملحوظ في الحركة الثقافية في تلك البلدان فمثلاً تطرح الحركة التي تسمي بالمذهب الانساني بين عدد من المثقفين اليوغنديين قضية العلاقة بين الثقافة

الافريقية والعالمية علي الوجه التالي:« لاتهمنا الطريقة التي قسمنا بها المستعمرون ولكن مايهمنا هو موقفنا من الحياة والثقافة والتراث. في تسميتنا لمدرستنا، بالمذهب الانساني ،ان ماقصدنا انها مدرسة تمثل فلسفة تتخلل الحياة في افريقيا بأسرها. وكل الأفكار التي تعكس الطريقة الافريقية في الحياة مجسمة في تلك الفلسفة. اننا نرمي الي الناي عن الطريقة التي تقسم الافريقيين الي زنوج وبانتو وحاميين ونوبيين.. الخ ونري ان هذه التقسيمات لا أهمية لها لانها لاتقوم علي أسس من البحث العميق في الفلسفة الافريقية. ولكن في نفس الوقت لانريد العودة الي الماضي بحذافيره، اننا نريد أن نوحد بين الحياة الحديثة وما هو مفيد من الماضي نحن لا نريد التعبير عن الافريقي التقليدي أو الأوربي الأسود بل عن الافريقي الحديث.»

وهذا العقل الافريقي المفتوح الذي نما عبر التطورات المختلفة للحركة الافريقية هو الذي يقف اليوم وراء التطورات الاجتماعية والسياسية في البلدان الافريقية التي تواجه قضية الثورة الاجتماعية وخاصة في غانا. ليس هذا التطور بغريب بعد ان استطاع الافريقي اثبات كيانه واكتشف نفسه وما يستند اليه من تراث، فلم تعد الحركة الافريقية مجرد رد فعل للاضطهاد الاستعماري بل أصبحت مجسدة في كيان شعبي ودول مستقلة. ان استمرار دوائر من المثقفين الزنوج في موقفهم الذي لايخرج من اطار رد الفعل أمام التحدي الغربي وفي حدود هذه الدائرة الضيقة سمم ما ينتجون من أعمال ثقافية، أصبحت أعمالهم لا تصلح للنمو والتطور وما عاد من الممكن اتخاذها كمسلك لشعوب تدرك مسئولية النضال الوطني والانساني فالمقارنة السريعة بين مسلك أبناء الحركة الافريقية من المثقفين وحركة بعض المثقفين الزنوج في امريكا



والتي يعبر عنها في المحيط الثقافي الكاتب جيمس بولدوين تؤكد صحة ماذهبنا الية فهناك حكمة ومسئولية ازاء كيان الافريقي في عالم معاصر لا مكان فيه للتوقف وهنا تمرد وتطرف مدمر. فمثلاً لا يخفي بولدوين في مسرحيته «Blues For Mister Charlie» ميله للشاب الزنجي رتشرد الذي يصرخ في وجه جدته: «انني سأشفي من مرضى الحقد هوالذي يشفيني – مارأيك؟» أن الحقد القائم علي ما هو افريقي واحتقار ما عدا ذلك هو وأد للتطور والتقدم وارجاع بعقرب الساعة، وهذا أمر مستحيل. فلايبقي من كل ذلك غير صيحة من التمرد كرد فعل لآلام العسف الاستعماري دليل علي انحدار الحضارة الأوربية الغربية.

نستطيع القول اذاً أن الحركة الافريقية التي شملت المستعمرات البريطانية وهي تمر عبر مراحل مختلفة حتي أبواب الاستقلال السياسي كانت تستند الي حركة ثقافية تتطور معها بل تسبقها في كثير من الأحيان. وتلك الحركة الثقافية تستند الي ركنين أولهما التاريخ الافريقي الموحد والبحث عنه والأخذ بما هو معافي منه، وثانيهما الارتباط بالحياة الحديثة من زاوية هذا الكيان الافريقي. واستناداً الي هذه الحركة الثقافية النشطة والمجددة للحياة واجه الافريقي المتمتع بالاستقلال السياسي قضايا الثورة الاجتماعية : قضايا الاشتراكية.

## نكروما والثورة الاشتراكية

وبين هذه المدرسة تبرز أفكار كوامي نكروما الاشتراكية من ناحية وأفكار جوليوس نايريري من ناحية أخري. لننظر الآن في افكار نكروما.

يلاحظ في أفكار نكروما النظرة الانسانية للاشتراكية فهو قد شهد مؤتمر مانشستر عام ١٩٤٥، ذلك المؤتمر الذي واجه بالاضافة الي قضايا الحرية الوطنية قضايا اجتماعية ذات طابع عالمي. كان ذلك نتيجة للأثر الديمقراطي في الحرب العالمية الثانية. فالمؤتمر أدان ما سماه «بالاحتكار الرأسمالي وتسلط أصحاب الثروة ورجال الصناعة بغرض جنى الأرباح» كما ايد المؤتمر «الديمقراطية الاقتصادية بوصفها الديمقراطية الحقيقية». ولم يكن من قبيل الصدفة أن يستقبل ممثلوا غانا في المؤتمر بالترحاب ذلك القرار فلم يكن الموضوع مجرد آثار عالمية أو أفكار انسانية اذ أن الرأسمالية في غانا كانت ترتبط أشد الارتباط بالمستغلين الأجانب. وكانت حركة الحرية الوطنية في غانا تصطدم بها. ان أكثر من نصف دخل غانا من الذهب والمنقنيز كان يذهب أرباحاً للرأسمالية البريطانية. فالفكرة الرأسمالية في تلك البلدان كانت تعني كل ما يجسمه الاستعمار والقهر الوطني اقتصاداً وسياسة وثقافة. ان هذا الأثر العالمي والنظرة الانسانية نما مع التطبيق والتجربة حتي وصلت تلك الأفكار الي اعلان اشتراكية علمية منهجاً للتطبيق الاشتراكي.

في النضال السياسي لم يطرح نكروما بادئ الأمر قضية الثورة الاجتماعية، وهذا ناتج عن طبيعة المرحلة نفسها ونعني طبيعة التجمع ضد المستعمرين. بهذا



نجده يكتب عن رأية عام ١٩٤٧م في ترجمته الذاتية:«أن هدف افريقيا هو الاستقلال». ولكن بالرغم من ذلك يظهر تأثره بمجريات العصر وبقضايا التطور الاجتماعي فيعلن حزب المؤتمر الوطني الغاني عام ١٩٤٩م وقبل الاستقلال في برنامجه السداسي للتحرر الوطني «أهمية العمل المشترك مع الحركات الوطنية والاشتراكية في افريقيا والقارات الأخري» وهذا الاعلان يحمل جذور المضمون الاجتماعي في حركة الحرية الوطنية. ثم يسير الفكر الاجتماعي خطوة الي الأمام فيقول نكروما عام ١٩٥٩م وبلاده علي عتبة الاستقلال السياسي:« (برجوع السلطة السياسية للشعب أصبحنا في مركز يسمح لنا بالهجوم علي مخلفات الاستعمار الاقتصادية التي سيطرت علي بلادنا في الماضي). ومن هذه الزاوية – زاوية التخلص من مخلفات الاستعمار والرغبة الملحة في اللحاق بركاب التقدم في أسرع وقت ممكن – خاضت غانا بحار التجارب لبناء حياتها الجديدة حتي وصلت الي المنهج الاشتراكي وقد قوي من هذا الاتجاه عوامل عدة من بينها حرص غانا علي استقلالها الوطني والدفاع عنه في وجه الضغط الاستعماري المتزايد ثم السياسة الخارجية الحية المستندة علي مبادئ الحركة الافريقية الأولي، وكون أن الرأسمالية في غانا كانت بشكل رئيسي في يد المستعمرين فاقترب طريق التخلف القديم من الرأسمالية، ثم حصول غانا علي استقلالها في وقت نمت فيه السوق الاشتراكية وتزايدت قدرتها علي مواجهة احتياجات المناطق النامية وبشروط أفضل والقروض السوفيتية تمنح بفائدة ٢ ١/٢ ٪ بينما تتراوح فائدة القروض الغربية بين ٥٪ و ٦٪

هذه العوامل أسهمت في اخراج برنامج عام ١٩٦٢ للوجود واضحاً في تحديده: « ان الاشتراكية هي الخط الوحيد الذي يمكن أن يجلب الخير للشعب

في اقصر وقت ممكن» ومن هذه الصور الخلفية والعوامل قديمها وجديدها تبرز الأفكار الاشتراكية في غانا. ان تلك الافكار تصل الي حدود مفارقة الطريق الرأسمالي معتمدة علي نشاط الجماهير وحريتها في العمل في حركة شعبية واسعة. ولكنها بالمقارنة مثلاً مع الافكار الاشتراكية في الجمهورية العربية المتحدة فانها لم تصل بعد الي حل مشكلة السلطة علي أسس اشتراكية. ولكن بالتجارب وطالما ظل الاتجاه الاشتراكي سائداً وابتعدت غانا عن الوقوع في فخ الاستعمار، وبالعقل المفتوح الذي لايرفض التجربة الانسانية اعتماداً علي التعصب القومي فأن هذا ولاشك سيتم. المهم هو ان أفكار نكروما تمانع في السير في طريق التنمية الرأسمالية ويساعدها وهي تخوض تجربة البناء الاشتراكي ان غانا تتخفف يومياً من ثقل القوي الاجتماعية التقليدية،. وتضع السلطة بوساطة الحزب الواحد في يد الطبقات الاجتماعية الحديثة بعد كسر شوكة قوي التخلف التي تريد لغانا أن تكون ظلا مشوها للعالم الرأسمالي الغربي. ان غانا تطرح الفكرة الاشتراكية تحت مظلة الحركة الافريقية بكل ماتستوعب من نضال للحرية الوطنية الافريقية ومن مواجهة للعناصر الرجعية في افريقيا. وهذا عامل يدخل العافية في سير تلك الحركة ويعطيها جواً نقياً ويساهم في توضيح معالم الاشتراكية كذلك فاستناد الفكرة الاشتراكية في غانا الي جذور من البعث الثقافي الافريقي يربطها أكثر بالواقع ويمنحها القدرة علي مواجهة مشاكل البناء الاقتصادي ويحلها بطريقة علمية فعالة.

## نايريري والاشتراكية القبلية

وفي اطار الحركة الافريقية وتحت تأثير منها أيضاً تنمو اتجاهات اشتراكية



في تنزانيا تحت قيادة جيوليوس نايريري. يمكننا أن نطلق عليها مدرسة الاشتراكية القبلية. اذ ان هذه المدرسة تحاول استناداً علي الجماعة القبلية ان تبني مجتمعاً غير رأسمالي. تجمع هذه المدرسة بين الحنين لحياة القبلية المستقرة وما فيها من تعاون وقوة والرغبة في بناء حياة حديثة. انها ليست صرخة للعودة للماضي بل يمتد بصرها للمستقبل يقول جوليوس نايريري: «بمجرد قيام حكومة مستقلة فإنها تواجه أهم قضية – قضية البناء الاقتصادي – بهدف رفع المستوي المعيشي للشعب والقضاء علي المرض والجهل والخرافة.» وهذا بالتأكيد هو المفهوم لوظيفة الدولة الحديثة والمجتمع الحديث ولكن تلك الدولة وذلك المجتمع لن يتوفر الا بتطور القوي المنتجة علي الأسس الحديثة. أما القبلية فهي كمؤسسة اقتصادية عاجزة تماماً عن القيام بهذا الدور ولن تصلح أساساً لبناء مثل تلك الدولة ولقيام مثل ذلك المجتمع. حقاً انها مكتفية ومستقرة ولكن اكتفاء الركود واستقرار التخلف.

صحيح أن نظرة نايريري للاشتراكية كمسلك وكتصرفات خيرة يمكن ان تستند الي علاقات الاخوة والتعاطف الانساني بين القبيلة والمقارنة بين القبيلة وبين المجتمع الرأسمالي من هذه الزاوية تجعل الميزان يميل لصالح الاشتراكية. وهذا هو الشئ الايجابي في الاشتراكية القبلية مما يظهر في قول نايريري: «اذا كان المجتمع منظماً بطريقة تهتم بالفرد طالما كان يعمل فانه لن يقلق لما يحمله المستقبل حتي اذا لم يكن لديه مدخرات. وهذا ما نجح في تحقيقه المجتمع الافريقي التقليدي.» ومن هذا الفهم وانطلاقاً منه ينظر نايريري بعين نافذة للمجتمع الرأسمالي ولكن من المهم وضع القضية كالاتي: كيف يمكن بناء مجتمع حديث في تنجانيقا مع الاحتفاظ بالعلاقات الانسانية العالية الناتجة عن

النظام القبلي؟ ان النظر للتعاطف الانساني بين القبيلة والاخاء وسطها ربما كانت صالحة كأساس لمواصلة الثقافة الافريقية اوكتعبير رومانتيكي للمواجهة بين الحضارة الافريقية والتيارات العالمية المعاصرة. ولكن الاشتراكية لا تبني علي التعبيرات الثقافية وحدها اذ ان الاشتراكية مجتمع للتقدم والوفرة وهو يبني علي أسس صلدة لتنمية قوي الانتاج لهذا فالقبيلة ليست الاساس الاجتماعي للاشتراكية وليست المؤسسة الاقتصادية التي تتولد منها العلاقات الاشتراكية ،انها علي النقيض من ذلك مؤسسة متأخرة تحبس قوي الانتاج وتحول بينها وبين الرشد.

ان هذا التناقض النابع من المفهوم الشعري للاشتراكية يلقي بهذه المدرسة في تناقضات كثيرة. فنايريري مثلاً يري ان العائلة كمؤسسة هي الصفة المميزة للاشتراكية الافريقية. ولكن هذا غير صحيح اذ ان المجتمعات الافريقية باسرها خرجت من نطاق تنظيم العائلة وخاصة في شمالها. ان الصفات المميزة التي تبني عليها الاشتراكية كنظام اجتماعي هي نتاج لمجتمع متطور وهي الملكية الجماعية والسلطة وتوزيع الثروة. اما من ناحية العلاقات الانسانية فمن الممكن ان يدخل ضمنها كلما هو خير من بين علاقات الانسان بأخية وفي أطار هذا تدخل الاخوة والود الكامنان في أطار العلاقات القبلية. كذلك يري نايريري ان الاشتراكية الافريقية تناهض الاشتراكية «الجامدة» لأن الاخيرة تقوم في رأية علي فلسفة تؤمن بالصراع بين الانسان واخية الانسان. وعلي الرغم من خطأ هذا الاعتقاد الذي يعبر عنه نايريري اذ ان الاشتراكية لا تؤمن بالصراع بين الانسان واخية الانسان علي هذه الشاكلة تؤمن بانهاء هذا الصراع وحسمه حتي يتفرغ الانسان لمصارعة قوي الطبيعة – علي الرغم من هذا، فأن فكرة



نايريري تنسي ان الاستقلال السياسي لتنجانيقا جاء نتيجة للصراع بين الانسان الافريقي واخيه الانسان الاوربي وأن تحرير اقتصاد تنجانيقا كشرط للبناء الاشتراكي يتطلب مثل هذا الصراع كما أن الخروج من حالة التخلف التي أشار اليها تستوجب ايضاً الصراع ضد ممثلي التخلف.

وعلي أي فربما كان للتخلف الاقتصادي في تنجانيقا ولسيادة الاقتصاد الرعوي هناك أثره في هذه الافكار الغامضة عن الاشتراكية التي يدعو لها جوليوس نايريري وعلي أي فإن الرغبة في تفادي القيم الرأسمالية غير الانسانية وطريق التطور الرأسمالي الشاق لدي جوليوس نايريري ستؤدي الي وضوح أكبر حول قضية بناء الاشتراكية في تنجانيقا.

### المدرسة الفرنسية

لابد ان نتفق أولا علي السمة المميزة للاستعمار الفرنسي في أفريقيا، فرنسا دخلت أفريقيا وتمكنت منها وهي في مركز ضعف لافي مركز قوة. أذ اصبح الاستعمار الفرنسي بعد انهيار نابليون يلهث للابقاء علي «عظمة» فرنسا واستمرارها كدولة كبري. ولكي تستمر هكذا كان عليها ان تحتفظ ببلدان تابعة حتي يكون لها اثر في ميزان القوي العالمية. كذلك كان لوضع فرنسا الاقتصادي المناسب في الميدان الزراعي – خلافا لبريطانيا – ولتوفير المواد الغذائية فيها اثر ملحوظ في طريقة أستغلالها في أفريقيا. كذلك امتازت الطبقات الحاكمة في فرنسا منذ العهد الملكي باحتضان الحركة الثقافية مما جعل الثقافة الفرنسية جزءاً من ذلك المجد الفرنسي، واعتبرت عنصراً من عناصر القوة في ميدان التوازن الدولي. لقد كانت فرنسا في حاجة ايضا لتقوية

جيشها بعد هزائمة ولهذا فقد سعت من وراء أستعمارها لافريقيا الي وجود قوة بشرية تندفع بها في خضم الصراع العالمي وتقوي بها مركزها.

هذه العوامل وغيرها مجتمعة صارت الي حدود بعيدة طريقة الاستعمار الفرنسي في حكم المستعمرات الافريقية. ابرز هذه الاشكال للحكم ما عرف بالنوبان وهو شكل للاستغلال الاقتصادي والثقافي. فمن الناحية الاقتصادية يرمي النوبان الي خلق طبقة محلية لها مصلحة عضوية مع الرأسمالية الفرنسية ومؤمنة بالتطور الرأسمالي في بلادها. وقد وجدت هذه الطبقة في معظم تلك البقاع وخاصة في المستعمرات الاخيرة جنوب الصحراء كالسنغال وساحل العاج. ومن الناحية الثقافية يرمي النوبان الي هدم القيم الافريقية الحضارية ويحقرها، ويقطع حبل التطور للثقافة الافريقية، وبالتالي فهو يساعد الفرنسيين من الناحية السياسية أذ أن الرجل الافريقي الذي يكتمل نوبانه لايجد جداراً أجتماعيا وثقافيا يستند عليه في طموحه للحرية الوطنية. وصف سيكتوري هذا الاستعمار المعقد الاقتصادي والسياسي والثقافي بقوله: لم يقتصر التعليم الذي قدم لنا علي تنويبنا وفقداننا لشخصيتنا وتصوير مدنيتنا وثقافتنا ومفاهيمنا الاجتماعية والفلسفية وباختصار انسانيتنا وكأنها تعبير عن الهمجية وأحساس التخلف – كل ذلك لكي يستقر في نفوسنا اننا فرنسيون اكثر من الفرنسيين لم يقتصر الامر علي ذلك وحسب ولكنه استهدف ايضا منح المثقفين امتيازات وضمانات غريبة جداً علي اغلبية شعوبنا.»

## نظرية الذوبان

وتمثلت نظرية النوبان من الناحية السياسية في ربط الحياة السياسية في



أفريقيا بالحياة السياسية في فرنسا. فقد طبق النوبان سياسياً علي السنغال في عام ١٩٤٠ وأصبح لهم ممثلون في الجمعية الوطنية الفرنسية بل أن هوفيت بوني كان وزيراً في الحكومة الفرنسية التي أعتدت علي الجمهورية العربية عام ١٩٥٦ كان القصد أن تنوب الفروق القومية وأن تتأكد سيادة القومية الأم بين المجموعة الفرنسية. هذا بالطبع نتيجة حتمية للتنويب الثقافي.

ولكن نظرية التنويب في الميدان الثقافي كانت تحمل في احشائها تناقضات فالمثقفون الافريقيون الذين تخرجوا في مدرستها وجدوا أنفسهم غرباء ايضاً وسط المجموعة الثقافية الجديدة. واعتماداً علي أداة التعبير الفرنسية والقيم الثقافية الفرنسية نشأت بينهم حركة الزنجية التي تعتبر رد فعل للخراب الحضاري الذي اصاب تلك المستعمرات. ومهما تعددت اسماء المدارس الثقافية التي انشأها الافريقيون الناطقون بالفرنسية كالزنجية ووجود الافريقي والشخصية الافريقية فأنها جميعاً تعبير عن الصدام بين حضارتين وثقافتين، تعبر عن الازمة التي تواجه الرجل الافريقي وهو حائر امام التساؤل: ايصبح فرنسيا ام يبقي زنجياً؟ وعلي الرغم من سيطرة الاداة الفرنسية في الثقافة ومن اقتراب المثقفين الافريقيين الي القيم الليبرالية الفرنسية فأن الاتجاه العام في تلك المدارس كان يميل نحو البقاء الزنجي.

ومهما كان تقييمنا أيضاً للارتباط بالحياة السياسية الفرنسية من قبل المثقفين الافريقيين الا أننا لا نستطيع ان ننكر انه جاء بنتيجة ايجابية في هذا المضمار. فالمثقفون الافريقيون الذين نزحوا من اوطانهم وعاشوا في فرنسا استطاعت عينهم ان تلحظ الانحدار والالام في المجتمع الرأسمالي ومعظمهم قد عاش في قاعة الفقير. ومن هنا كان للزنجية طابع النقد في المجتمع الرأسمالي

وكان لها أيضاً مضمون اجتماعي. كانت بمثابة تعبير رومنتيكي يعبر عن الحنين ليسر الحياة وبساطتها واكتفائها كما كانت عليه في المجتمع القبلي الافريقي ويعبر عن التمرد علي المصير المزري للانسانية الذي يتردي فيه ضحايا النظام الرأسمالي. هذا جانب مضئ في مدرسة الزنجية. ان الشاعر ليوبولد سنغور خير من عبر عن هذا التعارض والمقابلة. ففي قصيدته «نيويورك» يعبر سنغور عن الدهشة لما تحمل المدنية الغربية من تقدم مادي فيصف ناطحات السحاب والغانيات الفارعات ولكنه يختنق بهذا الجو الثقيل فيقول بصراحة:

اسبوعان بلا انهار ولا حقول
كل عصافير السماء وطيورها
كانت قد تهاوت بلا حراك فوق
الاسطح الشاهقة فجأة
ما من بسمة متوهجة لطفل
ولا يد صغيرة ينعش ملمسها كفي
ليس ثمة ثدي أم
بل سيقان من النايلون وحسب
ليس ثمة كتاب يحتوي حكمة تقرأ

هذه المقابلة بين المجتمع الرأسمالي بكل ما يحمل من قسوة والحياة الافريقية الطبيعية الوادعة لها مدلولها، اذ انه يصرخ اخيراً منتصراً لا فريقيا:

**هارلم، آه هارلم! اري الآن هارلم! نسمة خضراء**
**من سنابل القمح تنمو علي الشوارع التي حرثتها اقدام الراقصين الحافيه.**

ويعبر عن هذه القضية ايضاً بطريقة عقلية اقرب الي النثر منها للشعر



شاعر غاني يقول:

هنا نقف
في مفترق الطريق لحضارتين
انرجع للوراء؟ الي ايام الطبل
والرقصات المرحة تحت ظلال
أشجار النخيل التي تعانق الشمس.
أنسير الي الأمام؟ الي الأمام..
الي أية غاية
الي المساكن القذرة حيث يحشر البشر حشراً

## والزنجية

ولكن بالرغم من هذا الجانب الايجابي في المدرسة الفرنسية الا أن اسلوب الحكم المباشر الذي طبقه الفرنسيون في مستعمراتهم أدخل الاثاره الفرنسية علي حياة الشعوب نفسها وأضعف المؤسسات الافريقية التي ارتكزت علي مثيلاتها من الحركات السياسية في المستعمرات البريطانية عندما خرجت من نطاق المثقفين الي النطاق الشعبي، كما أن حركة الزنجية بقيت لهذا حبيسة في حيزها الثقافي ولم تقتحم الحيز السياسي بشكل ثوري وجاد. هذا يرجع ايضاً الي التكوين الاجتماعي لممثلي تلك الحركة ولوضعهم الممتاز الذي اشار اليه احمد سيكتوري. فاذا قورنت الزنجية بمدرسة الحركة الافريقية فمن الصعب ان نصفها بأنها الأساس السياسي للحركة المناوئة للمستعمرين ومن أجل الحرية الوطنية. هذا الوضع الغريب أضعف من المؤثرات الايجابية التي تعرض لها

ممثلوا الزنجية في فرنسا ففي عام ١٩٤٦مثلاً تكونت حركة التجمع الافريقي بقيادة هوفيت بوني من ساحل العاج وكانت تتحالف مع الحزب الشيوعي الفرنسي في الجمعية الوطنية الفرنسية وقد تأثر معظم روادها بالفلسفة الماركسية. ولكن هذا الاثر ظل في السطح ومن ناحية الامتاع الذهني ولم ينتقل الي حيز العمل الاجتماعي والثورة الاجتماعية بشكل جاد. فقد اضعف من ذلك الاثر كما ذكرنا الوضع الممتاز لتلك الفئات من المثقفين الافريقيين، لقد كانوا يصدرون مواقفهم لا من ارض أفريقيا ولكن من باريس.

هذا وضع فريد، فالزنجية تواجه النوبان وتقاومه ثقافة في وقت تقبل فيه البقاء تحت المؤثرات الفرنسية وترفض الوقوف علي الارض الصلبة للحرية الوطنية. ان تجاهل المميزات القومية وفكرة الحرية الوطنية تظهر بوضوح فيما كتب محمد ضياء رئيس وزراء السنغال السابق في رسالته:«الشعوب الافريقية والتضامن العالمي» فتجاهل الكيان القومي كما تجاهل ايضاً المساواة بين الشعوب في العلاقات الدولية وأنكر امكانية قيام استقلال وطني في العالم الحديث المتشابك.

هذا الوضع السياسي هو الذي حدد لرواد تلك الحركة فيما بعد فهمهم للبناء الاجتماعي والاقتصادي لبلدانهم، فاصبحوا متأثرين بالافكار الاشتراكية الفرنسية اليمينية التي لاتخرج من نطاق الاستغلال والرأسمالية. لذلك يمكننا القول بأن اشتراكيتهم في التطبيق تخدم أغراض البلد الام «الاستعمار»، وهي غطاء ليستر عورات التطور الرأسمالي في بلادهم وخير مثال لهذا ساحل العاج، اشتراكيتها تزييف وتنازل عن السيادة الوطنية وغطاء للتنمية الرأسمالية.



ولكن لهذه المدرسة شقا آخراً واعني جمهوريتي مالي وغينيا. فقادة هاتين الجمهوريتين كانوا أعضاء في حركة التجمع الافريقي وتأثروا بكل العوامل التي احاطت بتلك الحركة كما تأثروا بالفكر الاجتماعي من فرنسا. ولكن ظروف بلادهم الاجتماعية تختلف فعلي الرغم من أن الفرنسيين طبقوا في هاتين الجمهوريتين سياسة التنويب الا أن شعوبهما وجدت جداراً تستند اليه في المحافظة علي كيانهم وهو الجدار الاسلامي. لقد اسهم هذا العنصر في بقائهم القومي، واستناداً اليه تحولت حركة التمرد علي النوبان الي حركة ثورية شعبية وخرجت الافكار الاجتماعية من حيز العناصر المثقفة الي حيز الجماهير الشعبية. وبهذا اصبحت الاتجاهات الايجابية للمدرسة الزنجية من ناحيتي نظرتها الناقدة للمجتمع الرأسمالي و مضمونها الاجتماعي ذات أثر ملحوظ في البناء الاجتماعي لهذه البلدان. اصبح الاتجاه لتفادي النظام الرأسمالي اتجاهاً عميقاً وتسنده قوة شعبية منظمة. ولهذا فاننا نعتبر ان هناك مدرسة لها كيان ينطبع بطابع الاشتراكية ويسير قدماً في مدارجها.

# المدرســة العربيــة في أفريقيـا

## التطور التاريخي للمدرسة العربية

امامنا تجربتان: التجربة العربية في مصر والتجربة الجزائرية.

ان هناك عناصر مشتركة تجمع بين التجربتين. فالبلاد المتكلمة بالعربية في أفريقيا واجهت الاثر الاستعماري وهي تستند الي كيان قومي واضح المعالم والي حضارة غنية تقف علي قدم المساواة مع الحضارة الأوربية الحديثة. كانت لتلك البلاد مؤسساتها القوية الدعائم التي سرعان ما أسمهت في حركة الحرية الوطنية وفي البعث الثقافي. ونسبة لهذا الوضع المتقدم لم تدخل تلك البلاد في تجارب التمرد الثقافي علي طريقة المدرسة الزنجية. فعلي الرغم من سياسة المستعمرين الفرنسيين في التذويب والتي طبقت في الجزائر الا أن الشعب الجزائري لم يكن في حاجة الي رد فعل بل استطاع ان يجد عاصماً لبقائه من عاملين هامين في حياته: العربية والاسلام. فباللغة العربية حافظ فلاحوا الجبال وهم قلب الجزائر علي قوميتهم في وجه الغزو الفرنسي وبالاسلام حافظوا علي تكوينهم القومي المتميز من التكوين الفرنسي واستمدوا منه الدافع لمناهضة المستعمرين واستطاعوا ان يتفادوا العقد أمام القيم الفرنسية. يعبر عن هذه الحقيقة ميثاق جبهة التحرير الوطني الجزائرية عندما يقول: «ان الشعب الجزائري شعب عربي مسلم. والواقع انه منذ القرن الثامن اعطي الاسلام والتعريب لبلدنا الوجه الذي حافظ عليه حتي اليوم.» كذلك فأن هذين البلدين مصر والجزائر وخاصة مصر كانا في أوضاع متقدمة قبل دخول المستعمرين، وسرعان ما نشئت فيهم الطبقات الحديثة ونمت حركة التجديد بالاقتراب من



الثقافة الاوربية. فقد نجحت تلك الطبقات وممثلوها من المثقفين في مواصلة الحضارة العربية الاسلامية. والاعتماد علي تلك الحضارة مقياساً لما يقبلون او يرفضون من تجديد. فحركة البعث الاسلامي في مصر والتي قادها الامامان الجليلان جمال الدين الافغاني ومحمد عبده في القرن التاسع عشر كانت حركة انسانية لانها قامت علي دعم اسس المجتمع المصري واكتشاف أصوله ثم فتح ابواب التطور امامه. لقد شوه علماء السوء الاسلام في مصر وحاولوا جعله مطيه للتأخر وللظلم الاجتماعي وخاصة علي عهد الاتراك، فعلماء الاسلام في اسطمبول يبررون الظلم التركي ويفتون باخراج من يحارب خليفة المسلمين او يعارضه من الجماعة الاسلامية. ولكن البلدان العربية كانت تتطور من الباطن وتنمو الاسس الوطنية التي لابد لها ان تصل الي نتائجها المنطقية وهي الاستقلال الوطني. لقد وقف الامامان في مقدمة ذلك الزحف الحديث وأرجعا الاسلام الي أصوله النقية وجعلاه في خدمة الامة الحديثة من ناحية مطلب الحرية الوطنية المقدس ومن ناحية الاخذ بما قدمت الحضارة الغربية من تجارب انسانية مفيدة وبناء حياة حديثة. وشجعا تحصيل العلوم الحديثة وهاجما العناصر التي كانت تفسر الدين الاسلامي بطريقة تحافظ بها علي التأخر والجهل والتخلف عن ركاب الحياة الحديثة. وعلي الرغم من أن حركة الاصلاح تلك لم يكن لها طابع أجتماعي داخلي حاد الا من زاوية افكار العدالة الاجتماعية العامة، الا انها حركة استهدفت بناء الدولة الحديثة وكان الشكل الاول لمواجهة الافريقي في مصر بل في العالم العربي للاثر الغربي، هى شكل من اشكال النضال من أجل الحرية الوطنية وبهذه الصفة فقد مهدت الارض للافكار الاجتماعية المختلفة.

وكانت حركة النهضة الثقافية في مطلع هذا القرن والتي حملها ابناء الاثر الاوربي علي مصر تبحث عن تحديد لشخصية الشعب المصري وعن طريق للنهوض به من درك التأخر. لقد ضربت هذه الحركة في سبل شتي وكان ابرزها مدرسة طه حسين ومدرسة العقاد ومدرسة سلامة موسي ثم مدرسة مصطفي صادق الرافعي. فمدرسة طه حسين في فجرها كانت تري في مصر جزءاً من حضارة البحر الابيض المتوسط كما أشار الي ذلك الدكتور طه في كتابه «مستقبل الثقافة في مصر» وفي نفس الوقت كانت تعارض السيطرة الانجلو سكسونية وكانت مدرسة العقاد تعتني بما هو حديث وتأخذ في الكثير من الثقافة الانجلوسكسونية ولكنها تستند أيضاً الي جذورها العربية وتعمل للنهوض باللغة العربية لتساير التطور وقد كتب سلامة موسي افكاراً كثيرة عن الاتجاهات الاشتراكية ايضاً متأثراً بالمدرسة الفابية ولكنه في نفس الوقت أستطاع أن يكتشف ان النضال الوطني ضد الاستعمار هو الخطوة الأولي للاشتراكية وان الحرية الوطنية والكيان القومي هما الاساس لتطبيق أفكار الاشتراكية. اما مدرسة الرافعي فكانت تقاوم التجديد وتستهدف الرجوع الي الماضي بطريقة رومانتيكية. ولكن مهما اختلفت المدارس الثقافية تلك فانها استندت الي الكيان المصري العربي لان المؤسسات الحضارية الاسلامية والعربية التي تنتظم مصر من كتاب القرية الي الازهر كانت هي الاساس الذي أستندت عليه تلك المدارس فيما تكتب. كانت مجموعة القراء وقتها تخرج من تلك الدوائر. ان تلك المدارس لم تواجه قضية الكيان والبقاء كما حدث في افريقيا جنوب الصحراء بل واجهت قضية التقدم وفق وجود قومي ثابت الاركان. كانت القضية هي : ما هو انسب طريق للتقدم؟



وفي الصورة الخلفية لم تكن الحياة في مصر تقف لتنتظر نتيجة ذلك الجدل بل سارت في طريق المجتمع الجديد فنشأت صناعات حديثة ونمت المدارس وخرجت الطبقات الحديثة من بطونها وتزايد وزنها في المجتمع. استناداً الي تلك الطبقات نشأت الحركة الوطنية المصرية علي اساس الامة الواحدة ومطلب الاستقلال. فكل قادة الحركة السياسة وقتها من محمد فريد ومصطفي كامل وسعد زغلول ينادون بالاستقلال ويخاطبون شعب مصر كأمة واحدة لاتفرقة بينهم: «الدين لله والوطن للجميع»، أي وجود كيان قومي واحد بغض النظر عن المعتقدات ويستلهم هذا الكيان الموحد عناصر وحدته من الفكرة الوطنية المناوئة للمستعمرين ومن التراث الحضاري للامة الواحدة.

لقد سارت الحركة الوطنية المصرية في ذلك الوقت بقيادة الرأسمالية الوطنية وبعض الاقطاعيين وهذا حد كثيراً من امكانية تطور الفكر الاجتماعي. فعلي الرغم من ان الافكار الاشتراكية قدمت للمجتمع المصري وخاصة بين دوائر المثقفين في أواخر القرن الماضي وفي مطلع هذا القرن في مولفات المتصوري وفي المقالات التي كتبها الطبيب السوري الاصل شبلي شميل وبالرغم من قيام حزب اشتراكي من تلك الجماعة وعلي الرغم من الافكار التي قدمها سلامة موسي في الميدان الثقافي داعياً للاشتراكية ألا ان الطابع العام للحركة الوطنية في مصر لم يتأثر بتلك الافكار ولم يجنح ليتخذ له مضموناً أجتماعيا. وجرت محاولة فيما بعد لتكوين حزب ثوري مصري ولكنه أنتهي في مهده. وظلت الحركة الوطنية في مصر تسير في مضمونها الوطني العام وفي حيز الدفاع عن الدستور حتي قيام الحرب العالمية الثانية. كان لتلك الحرب اثرها في تقديم الفكر الاشتراكي مرة أخري للمجتمع المصري، فالاحزاب التقليدية اصبحت

تدور حـول نفسـهـا وتخـضع لسيطرة الاقطاعيين والعناصـر الكبـيـرة من الرأسماليين. وبهذا بدأت تنكس راية الاستقلال الوطني وتخشي علي مصالحها من ثورة الشعب اكثر من خشيتها من تحكم المستعمرين في مصير بلادهم .

وبهذا بدأ المجتمع المصري يتطلع لقيادة جديدة لتنجز ما تبقي من الثورة الوطنية ولتحل المشاكل الاجتماعية المعقدة الناتجة من تحكم المستعمرين ومن نمو طبقات الرأسمالية المستغلة ومن سطوة الاقطاعيين وفي هذا الجو نشأت حلقات الثوريين تدعو للحرية الوطنية وللافكار الاشتراكية وقد استطاعت تلك الحلقات ان تقدم الفكر الاشتراكي في مصر وان تؤجج نيران النضال الوطني وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة. ولكن نسبة للتفتت في وحدتها فانها عجزت ان تقدم للشعب المصري البديل للقيادات التقليدية المختلفة والمتعاونة مع المستعمرين والملكيين. وفي هذا الجو الملئ بالانفجارات الثورية وقعت ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

## ثورة يوليو وقضية الاشتراكية

تمتاز ثورة يوليو في مسيرتها نحو الاشتراكية بأنها سلكت طريق التجربة ولكن هذا لايعني اطلاقا أن ثورة يوليو ما كان لها مضمون اجتماعي منذ البداية. فهي قد واجهت النظام الاقطاعي في مصر كما انها واجهت نفوذ رأس المال الاجنبي وهذه المواجهة تركت اثرها في الخطوات التجريبية التي سلكتها الثورة حتي وصلت الي الاشتراكية. ففي خلال النضال لتحرير مصر ومن أجل بناء حياة حديثة لشعب مصر اصطدمت الثورة بالوضع الاجتماعي الداخلي بالاقطاعي أولاً ثم بالاحتكار المتداخل مع رأس المال الاجنبي. ان حقيقة



الرأسمالية الكبيرة في مصر بوصفها متداخلة مع النفوذ الاجنبي ادي الي ركودها والي سيرها في طريق استنزاف الموارد الداخلية لشعب مصر ومن هنا كانت مواجهة النفوذ الاجنبي تقتضي مواجهة عملائهُ في الداخل من الاحتكاريين وكبار الرأسماليين. كما ان الرغبة الملحة لدي قادة الثورة استجابة للدوافع الاجتماعية في دفع مصر نحو التقدم وضع أيضاً الثورة في مواجهة النظام الرأسمالي العتيق القائم علي الاستغلال الميسور. وفي خلال البحث عن موارد لتطوير الاقتصاد المصري ظهرت البذور الاولي للاشتراكية في مصر فقامت مؤسسة الانتاج كبديل ومنافس للمؤسسات الرأسمالية التقليدية وكان ذلك يعني أن الرؤيا بدأت تتضح أمام الثورة المصرية بمعني الاعتماد علي القطاع العام في الاستثمار وفي قيادة اقتصاد مصر وهكذا دخلت مصر عهد التصنيع الحديث وبدأت معالم المجتمع المصري تتغير فنمت قوة العاملين وصفيت طبقات اجتماعية من مراكز نفوذها الممتازة. وفي مواجهة الاستعماريين خلال معركة القنال وعند الانفصال بوجه خاص بدأت في البروز قضية السلطة، فالرأسماليون واحزابهم حاولوا استغلال المصاعب التي واجهتها الثورة خلال نضالها ضد الاستعمار ومن أجل الحرية الوطنية لتسلم السلطة وكان علي الثورة وهي تضع الاساس لتحول المجتمع المصري في طريق التطور الاشتراكي ان ترتبط بقوة الجماهير ذات المصلحة في هذا التطور، فأتجهت لدفع مركز العاملين في الدولة وبرزت بوضوح فكرة السلطة الجديدة للنظام الاشتراكي - سلطة العاملين في المصانع والمكاتب والحقول.

لقد عبر الميثاق الوطني عن هذه الصفة التجريبية للثورة الاشتراكية في مصر بقولة: «ان قوة الارادة الثورية لدي الشعب المصري تظهر في ابعادها

الحقيقية الهائلة اذا ماذكرنا ان هذا الشعب البطل بدأ زحفه الثوري من غير تنظيم سياسي يواجه مشاكل المعركة، كذلك ان هذا الزحف الثوري بدأ من غير نظرية كاملة للتعبير الثوري.» ان المبادئ الستة التي وضعتها الثورة منذ فجرها فتحت طريق التجربة ومهدت للوصول الاشتراكية كما ان التفكير العلمي في معالجة القضايا الوطنية اسهم الي حدود بعيدة في الوصول الي تلك النتيجة فمبدأ القضاء علي الاستعمار واعوانه من الخونة المصريين جعل الثورة تواجه مشكلة نفوذ رأس المال الاجنبي والطبقات المرتبطة به من الاقطاعيين والاحتكاريين. كما ان مبدأ القضاء علي الاقطاع طرح قضية الاصلاح الزراعي وجعل الثورة تواجه فيما بعد قضية التطور في الريف وانسب الطرق لتنميته. ومبدأ القضاء علي الاحتكار وسيطرة رأس المال علي الحكم فتح الباب في النظر في قضية السلطة. وهكذا سارت الثورة في طريق النظرة العلمية ومعالجة قضايا التطور في مصر علي أساس من الشمول والموضوعية واذا كانت الاشتراكية نظاماً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً تقوم علي ركنين اساسيين هما الملكية العامة لوسائل الانتاج وسلطة العاملين فأن هذه القضية تحل بشكل سليم في الجمهورية العربية المتحدة ان التجربة الفريدة التي يجب متابعتها هي أن الثورة الاشتراكية في مصر تأتي من أعلي وبدون تنظيم سياسي سابق. وهذه المتابعة بالتمحيص والدرس ستغني الفكر الاشتراكي.

### في الجزائر

لقد قامت الثورة من اجل الحرية الوطنية علي اكتاف الفلاحين ومن هذه الحقيقة انبعثت فكرة التغيير الاجتماعي مرتبطة بالاستقلال الوطني.



فالاستعمار بالنسبة للفلاحين الجزائريين كان يعني الظلم الاجتماعي البشع، فمن بين الملاك الزراعيين البالغ عددهم ٦٠٠ الف يعتبر ٤٠٠ ألف من الفقراء ويشكل العمال الزراعيون الدائمون أكثر من ١٠٠ ألف «ومن بين كل المكونات الاجتماعية للبلاد كان الفلاحون الجبليون الفقراء وهم اوضح تعبير للنهب الذي تعرض له الجزائريون، هم الذين لعبوا الدور الحاسم في حرب التحرير الوطني».

من الميثاق الجزائري

لهذا استندت الفكرة الاشتراكية في الجزائر علي الثورة الزراعية، وهذه ميزة أفادت التطور الاشتراكي هناك. فالمقيمون الفرنسيون كانوا يملكون أجود الاراضي وقد هربوا عند أنتصار الثورة الجزائرية وأستولي عليها الفلاحون الذين أبتدعوا لجان التسيير الذاتي لادارة تلك المزارع التي بلغت اكثر من ثلاثة مليون وثلاثة مائة ألف أيكر. وقد حددت هذه الحقائق سير الاصلاح الزراعي فهو لايقوم علي أساس توزيع الاراضي في شكل قطع صغيرة بل علي المزارع التعاونية والجماعية الواسعة، ففي أكتوبر ١٩٦٣ أنجز تأميم ثلاثة مليون أيكر أخري. ولم يكن ذلك مجرد صدفة أو تجربة فجريدة المجاهد تكتب في ديسمبر ١٩٦١ «علينا أن نستعد لتنظيم الزراعة علي أسس جماعية مهما كان شكلها». وهذه الرؤية الواضحة للاساس الاشتراكي في الزراعة سبقت الميثاق الجزائري وسبقت تحويل جبهة التحرير الي منظمة اشتراكية. أن لجان التسيير الذاتي تحمل في جوفها سلطة العاملين كما أنها تشع وهج الديمقراطية الاقتصادية كما ان ضعف العناصر الرأسمالية في الجزائر، وسير الجزائر في طريق التجديد سيمهد السبيل للمزيد من الوضوح حول قضية السلطة في ظل النظام

الاشتراكي.

ومن مميزات التطور الأشتراكي في الجزائر تحديده لمصادر الثورة الثقافية أذ أن الميثاق يري «ان الثقافة الجزائرية ستكون قومية، ثورية علمية» فهي قومية علي أساس البقاء العربي كما أنها تستند في نظرتها الثورية العلمية الي الثقافة العربية الاسلامية في جوهرها المضئ ذلك الجوهر الذي دعي له علماء الاسلام الاجلاء امثال أبن خلدون وابن الهيثم وغيرهما. نعني بهذه النظرة العلمية التجربة والاستقرار وهما أضافات منحها الفكر العربي الاسلامي لمناهج البحث. وهذه النظرة العلمية الاسلامية تتضح في نظرة الميثاق للقضايا الروحية التي تلعب دوراً كبيراً في كيان الشعب الجزائري، فهو يقول: «الجماهير الجزائرية العميقة الايمان قاومت بصلابة لتخليص الاسلام من كل الشوائب والخرافات التي خنقته او شوهته وناهضت دائماً الدجالين الذين كانوا يريدون ان يجعلوا منه مذهبا للخنوع والتوكل وربطته بارادتها في أنهاء استغلال الانسان لاخيه الانسان.» أن أحياء القيم الروحية لشعب الجزائر وتخليصها من الاتجاهات الدخيلة علي الفكر الاسلامي تشكل اليوم دافعاً لنهوض الامة الحديثة في الجزائر« ولبروز كيانها القومي كما أن ارتباط هذه القيم الروحية باسمي ما يمكن أن يحققه الانسان المعاصر من قيم انسانية في ظل النظام الاشتراكي الذي ينعدم فيه استغلال الانسان لأخيه الانسان جعل هذه القيم جزءا من الحياة اليومية للناس وربطها بقضية التطور الاجتماعي.

كما أن الثورة الجزائرية تمتاز بأنها لم تجد جهازاً للدولة له تقاليده البروقراطية كما وجدته الثورة الاشتراكية في مصر وهذا بالتاكيد يساعد في بناء الدولة علي أسس أشتراكية. أن الامتزاج بين عناصر الثورة في الجزائر



مهم جداً لاستقرارها كما انه مهم لقفل كل سبيل لمحاولة النكوص بالثورة والسير في طريق النمو الرأسمالي. لقد عبر الميثاق عن حقيقة الاختلافات في عناصر الثورة الجزائرية بقوله: «ان المقاومة الوطنية ضد الاستعمار والامبريالية قد وجدت سندها في الجبال ولكن فوائد الاستقلال ظهرت أولاً في المدن والسهول. وهنا يكمن تناقض، والاهتمام بحل هذا التناقض يتمثل في العمل علي توحيد الفلاحين الفقراء مع عمال المدن والارياف وتحقيق أحد الشروط الملحة لانتصار الثورة الاشتراكية.» ويكتسب انجاز هذه المهمة بعداً حيوياً خاصة وأن الأوساط الأكثر أستعداداً لفكرة التغيير الاجتماعية – عمال ومثقفين – كانوا أحياناً أقل أدراكاً بمثل هذا الكفاح الوطني من الفئات التقليدية». إن أستمرار ثورة الجزائر في طابعها العربي وفي طريقها المناهض للاستعمار سيخلق أفضل الشروط اللازمة للبناء الاشتراكي.

## خاتمة

من كل ماذهبنا اليه نجد أن الاشتراكية في أفريقيا تطرح في أسسها الاقتصادية والسياسية قضية الجماعية لوسائل الانتاج والسلطة الاشتراكية. وهذان الركنان هما اللذان يشكلان طابعها العالمي. أذ أن الاشتراكية فكرة حديثة بهذا المعني ولا يضير أمة ان تأخذ بها. ولكن المهم هو أن لافريقيا بشكل عام ولكل بلد فيها بشكل خاص طريقه نحو الاشتراكية. وان أفريقيا تواجه هذه القضَية الاجتماعية الملحة بتراثها الزنجي في بعض مناطقها وبتراثها العربي الاسلامي في مناطق اخري، وتحت تأثير الحوافز الكبري في تاريخها. فمن زاوية الاشتراكية كنظام حديث قائم علي اركان مشتركة بين كل الامم فأن القضية تطرح علي الوجه التالي: قضية الاشتراكية في افريقيا، ومن الزاوية الثانية حيث تنطلق افريقيا متأثرة بتاريخها وبظروفها الاجتماعية والثقافية يمكن ان تطرح القضية علي الوجه التالي: قضية الطريق الافريقي للاشتراكية. ولا تناقض بين الزاويتين فالاشتراكية كنظام تشترك في عناصره الرئيسية جميع الامم وتطبق الاشتراكيه حسب ظروفها ووفقاً لتقاليدها.

**الخرطوم في ٤ يناير ١٩٦٦م**



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان

## عبد الخالق محجوب عثمان

- ولد فى أم درمان عام ١٩٢٧
- تلقى تعليمه الأولى و الأوسط والثانوى بأم درمان.
- كان من المبرزين أكاديمياً وقد أحرز أعلى الدرجات فى أمتحان كمبردج
- التحق بكلية الآداب - جامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة حاليا).
- لم يكمل دراسته الجامعية بسبب ظروفه الصحية ومن ثم عاد إلى السودان فى بداية عام ١٩٤٩.
- انتخب المسئول السياسى للحركة السودانية للتحرر الوطنى (السكرتير العام) عام ١٩٤٩.
- اعتقل عده مرات ومع قادة الاحزاب السودانية بجوبا عام ١٩٦١ فى فترة الحكم العسكرى الأول ١٩٥٨-١٩٦٤
- انتخب نائبا فى البرلمان عن دائرة أم درمان الجنوبية عام ١٩٦٨
- ظل سكرتيرا عاما للحزب الشيوعى السودانى حتى استشهاده فى ١٩٧١/٧/٢٨

**من مؤلفاته:**

- لمحات من تاريخ الحزب الشيوعى
- آفاق جديدة
- حول الأئتلاف الرجعى
- المدارس الأشتراكية فى افريقيا.
- أراء وافكار حول فلسفة الأخوان المسلمين
- دفاع أمام المحاكم العسكرية

**له ترجمات:**

- الأدب فى عصر العلم.
- الماركسية وعلم اللغات.
- متزوج من الأستاذه نعمات مالك وله ولدين عمر ومعز.



دار عزة للنشر والتوزيع
الخرطوم - السودان
ناشرون وموزعون ووكلاء دور نشر


غلاف : جمال خليفة